

الكتاب: الأعلام من الصحابة والتابعين
المؤلف: الحاج حسين الشاكري
الجزء: ٩
الوفاة: معاصر
المجموعة: من مصادر العقائد عند الشيعة الإمامية
تحقيق:
الطبعة: الثانية
سنة الطبع: ١٤١٨
المطبعة: ستارة
الناشر: المؤلف
ردمك:
ملاحظات:

السلسلة الثانية
من أعلام الصحابة والتابعين

(٩)

عدي بن حاتم
مالك بن نويرة
جابر الأنصاري
حذيفة بن اليمان
أبو الهيثم بن التيهان
تأليف
حسين الشاكري

هوية الكتاب
اسم الكتاب: من أعلام الصحابة والتابعين
تأليف: حسين الشاكري
الطبعة: الثانية - ١٤١٨ هـ
الكمية: ٣٠٠٠ نسخة
المطبعة: ستاره
الفلم والألواح الحساسة: تيزهوش
الناشر: المؤلف
صف الحروف: محمد الخازن
عنوان المؤلف
الجمهورية الاسلامية في إيران - قم المقدسة
زنبيل آباد - ٣٠ متري آستانة - پلاك ٧٦ - ك ٣٧١٦٦
هاتف ٩٢٦٩٩٠ - تلي فاكس ٩٢٧٨٧١ - كد ٠٠٩٨٢٥١

المقدمة

لقد دأب معاوية من خلال تسلطه على الحكم أن يمارس شتى أساليب التعسف والإبادة لشيعة علي عليه السلام وملاحقتهم بالقتل وقطع الأيدي والأرجل وسمل العيون، وبقر البطون، وصلب الأجساد العارية على جذوع النخل، والتشريد، وحرق البيوت وهدمها على أصحابها وما إلى ذلك من أنواع سبل الإبادة والاستئصال لشيعة علي عليه السلام ومواليه كما دأب علي إجرامه، وحاك على منواله، حكام بني أمية وبني مروان وبني العباس.

ولم يسلم من هذا التنكيل حتى الشيوخ والنساء،
والأطفال والمرضى، وخاصة البارزين منهم وعوائلهم
أمثال حجر بن عدي، وميثم التمار، ورشيد الهجري،
وعمر بن الحمق الخزاعي وغيرهم مما يطول ذكرهم،
والمنفذ لهذه الأعمال الإجرامية في حينها زياد الخزي
والعار ابن سمية وابن مرجانة.

واستطاع معاوية بهذه القسوة والأساليب الوحشية
أن ينشر الرعب والخوف والهلع على عامة المؤمنين،
خاصة أهل الكوفة والبصرة، وأن يحد من تجاهر الكثير
منهم بالتشيع والولاء وإضعاف معنوياتهم إلى حد كبير،
بحيث أن الواحد منهم يرضى لأن يتهم بالقتل والسرقعة أو
الزندقة أو أي جريمة أخرى ولا يتهم بالتشيع لعلي عليه السلام
ومذهبه ومولاته.

وعلى رغم كل تلك الممارسات الوحشية وسبل
الإبادة ما استطاع استئصال جذور التشيع من قلوب
المؤمنين وعقولهم، ولا إطفاء جذوة الحب والولاء

لعلى عليه السلام وأهل بيته، وظل رمز التشيع الذي يجسد جوهر الإسلام الحقيقي الأصيل يسير وينتشر على مر العصور والأزمان مستهينا بكل ما يجرز عليه من العناء ومتحديا الصعاب والعذاب الذي يمارسه حكام الظلم والجور ضده.

وسن سب علي عليه السلام وشتمه من علي منابرهم طيلة ألف شهر، وفرض البراءة من علي عليه السلام ودينه واللعن على شيعته ومحبي، حتى نشأت عليه أجيال، وغرس جذور العداة بين المسلمين، وكأنهم بذلك يدفعون به إلى عنان السماء، ويرفعونه عاليا حتى أصبحت أقدامه فوق رؤوسهم.

قال الشافعي لما سأله أحد أصحابه عن علي بن أبي طالب عليه السلام (١): ما أقول في رجل أسر أولياؤه مناقبه تقية، وكتمها أعداؤه حنقا وعداوة، ومع ذلك فقد شاع

(١) الكنى والألقاب، ترجمة الشافعي.

ما بين الكتمانين ما ملأ الخافقين؟
سئل الخليل بن أحمد الفراهيدي (١): لم هجر الناس
عليا عليه السلام، وقرباه من رسول الله صلى الله عليه وآله؟
قال: ما أقول في حق امرئ كتمت مناقبه أولياؤه
خوفا، وأعداؤه حسدا، ثم ظهر من بين الكتمانين ما ملأ
الخافقين؟

وسئل أيضا: ما الدليل على أن عليا عليه السلام إمام الكل
في الكل؟ قال: احتياج الكل إليه واستغنائه عن الكل.
وقد نظم السيد تاج الدين الحلبي هذا المعنى في
قوله:

لقد كتمت آثار آل محمد * محبوبهم خوفا وأعداؤهم بغضا
فأبرز من بين الفريقين نبذة * بها ملأ الله السماوات والأرض

(١) سفينة البحار، مادة (خلل).

وقال عامر بن عبد الله بن الزبير (١) لابن له ينتقص
عليه عليه السلام:
يا بني إياك والعودة إلى ذلك، فإن (بني أمية)
وبني مروان شتموه ستين سنة، فلم يزد الله بذلك إلا
رفعة.

وإن الدين لم يبين شيئاً فهدمته الدنيا، وإن الدنيا
لم تبني شيئاً إلا عاودت علي ما بنت فهدمته.
ومن هذا المنطلق، وعرفانا بفضل أولئك الصفوة
الذين قدموا أنفسهم وما يملكون من غال ونفيس قربانا
على مذبح الحرية والعقيدة، والدين والولاء الصادق،
لرسول الكريم وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام وما أخذتهم في
الله لومة لائم. حتى استطاعوا أن يظهروا الحق، ويرسخوا
دعائم الدين الحنيف وشرعية السماء، ويفضحوا أساليب

(١) علي في الكتاب والسنة ٣: ٢٣٩، الحديث ٢٢، وهناك
أحاديث قبله وبعده، فراجع.

الطامعين في الحكم، والمنافقين في الدين، ويكشفوا
حقيقتهم الكافرة الحاقدة.

وقد اقتصر على تراجم عدد منهم في هذا
الكراس، وسنذكر الآخرين في كراسات متتالية ضمن
سلسلة " الأعلام: من الصحابة والتابعين ".
ومنه سبحانه وتعالى أستمد العون والتسديد، فإنه
أرحم الراحمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة
والسلام على خير خلقه محمد وآله الطاهرين.
العبد المنيب

حسين الشاكري

دار الهجرة قم المقدسة

الفتاح من شهر محرم الحرام ١٤١٨ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم
(إن الله مع الذين اتقوا* والذين هم محسنون) (١)
عدي بن حاتم الطائي
الحواريون
خريجو مدرسة الرسول الأعظم وأمير المؤمنين
صلوات الله عليهم أجمعين

(١) النحل: ١٢٨.

عدي بن حاتم الطائي
سرية الإمام علي عليه السلام إلى طيء:
ذكر أصحاب السير غزو المسلمين لبلاد طيء
ورجوعهم بالغنائم والسبي ومعهم سفانة بنت حاتم
الطائي، وفرار أخيها عدي بن حاتم إلى الشام.
روى ان النبي صلى الله عليه وآله بعث عليا عليه السلام في سرية لبلاد طيء
قوامها مائة وخمسون رجلا ليهدم صنما يعبدونه في مكان
يدعى " الفلس "، فخرج الامام عليه السلام بمن معه في ربيع
الأول من السنة التاسعة للهجرة، ومضى يقود تلك السرية
حتى قارب بعض أحياء طيء، ومع تباشير الفجر مضى
الإمام عليه السلام بمن معه وشن عليهم هجوما مفاجئا، فمزق

شملهم، وقتل جماعة منهم، وأسر بعضهم، وفر الباقون،
واستولى على بعض دوابهم ومواشيهم، وهدم صنمهم
الذي كانوا يلوذون به، وأخرج من خزائنه ثلاث سيوف
ثمينة وثلاث دروع، وفر زعيمهم عدي بن حاتم إلى الشام مع أهله.
ورجع الامام علي عليه السلام بصيد سمين ومعه السبي إلى
المدينة المنورة، وكانت سفانة بنت حاتم الطائي في
السبي فأنزل السبي في حظيرة إلى جانب المسجد قد
أعدت لهذه الغاية (١).

مر النبي صلى الله عليه وآله بالأسرى وهم في تلك الحظيرة،
فقامت سفانة ابنة حاتم وكانت جميلة وجزلة ذات عقل
ووقار وقالت: يا محمد، هلك الوالد وغاب الوافد.
فقال صلى الله عليه وآله: من رافدك، قالت: عدي بن حاتم.
فقال صلى الله عليه وآله: الفار من الله ورسوله، ومضى.
ومر في اليوم الثاني فأشار إليها الإمام علي عليه السلام ان

(١) كما ذكر ذلك ابن سعد في طبقاته ٢: ١٦٢.

تكلّمه، فكلّمته و كان مما
قالت له - كما جاء في بعض
الكتب والسير - : يا محمد إن رأيت إن تخل - عني ولا
تشمت بنا أحياء العرب فإني ابنة سيدهم، وكان أبي يحمي
الذمار، ويفك العاني، ويشبع الجائع، ويكسو العاري،
ويفشي السلام بين الناس، فامن علينا من الله عليك.
فقال صلى الله عليه وآله: قد فعلت، لو كان أبوك مؤمنا لتحرمتنا
عليه، فلا تعجلي حتى تجدي ثقة يبلغك بلادك، وإذا
أردت الذهاب أذنيني.
وبقيت عنده معززة مكرمة حتى إذا جاء وفد طي
أخبرته ان لها فيهم ثقة واطمئنانا، فكساها وحملها على
بعير وأعطاهما من النفقة ما يسد حاجتها، فلما رأت سفانة
عطاءه قالت: يا محمد: هذا عطاء من لا يخاف الفقر.
فقال: هكذا أذنيني ربي، أو هكذا علمني ربي
قالت: دعني أدعو لك. فقال صلى الله عليه وآله لأصحابه: انصتوا
لدعائها وأمنوا عليه.
قالت سفانة: شكرتك يد افتقرت بعد غنى، ولا
ملكك يد استغنت بعد فقر وأصاب الله ببرك مواضعه،

ولا جعل الله لك إلى لئيم حاجة، ولا سلب نعمة من كريم
إلا وجعلك سببا لردّها عليه. قال صلى الله عليه وآله: آمين.
وجاء في سيرة ابن هشام، والطبري: ان سفانة بعد
رجوعها إلى طئ شدت الرجال إلى أخيها بالشام، مع
قافلة من قضاة، فلما وصلت وقعت عليه وأخذت تلومه
وتندد به وتقول: يا قاطع، يا ظالم، احتملت أهلك
وولدك، وتركت بقية والدك وعورته، فقال لها: قولي ما
تشائين فو الله ما لي من عذر، وكان عدي بن حاتم من
أشد الناس كراهية لرسول الله صلى الله عليه وآله، لأنه كان زعيم قومه
وسيدهم. فسألها عنه.

فقالت له: أرى والله أن تلحق بمحمد سريعا، فإن
يكن الرجل نبيا فالسابق إليه له فضله، وإن لم يكن ملكا فلن
تذل في عز اليمن وأنت أنت. فتركت هذه النصيحة من
سفانة العاقلة المعروفة بحسن الرأي وسلامة التفكير أثرا
في نفس أخيها عدي، فشد الرحال من فوره إلى النبي صلى الله عليه وآله.
وحدث المؤرخون عنه أنه قال: دخلت على النبي
صلى الله عليه وآله وهو في المسجد، فلما سلمت عليه قال من الرجل؟

قلت: عدي بن حاتم الطائي، فقام وانطلق بي إلى بيته، فوالله وهو عامد بي إذ لقيته امرأة عجوز ضعيفة فاستوقفته طويلاً فوقف لها تكلمه في حاجتها، فقلت في نفسي: والله ما هذا بملك. ثم مضى إلى بيته فتناول وسادة من ادم محشوة ليفاً فقذفها إلي وقال: اجلس عليها، قلت: بل اجلس أنت عليها، فأبى ذلك، فجلست عليها، وجلس هو على الأرض، قال عدي: فعدت إلى نفسي وقلت: ما هذه فعال ملك.

ثم قال صلى الله عليه وآله: ألم تكن ركوسياً؟ (١) قلت: بلى. قال صلى الله عليه وآله: ألم تكن تسير في قومك بالمرباع (٢)؟ قلت: بلى.

قال صلى الله عليه وآله: ان ذلك لم يكن يحل لك في دينك، قلت: أجل والله، فعلمت أنه نبي مرسل، يعلم ما نجهل. ثم قال صلى الله عليه وآله: لعلك يا عدي انما يمنعك من دخول

(١) الركوسية: دين بين النصرانية والصابئة.
(٢) المربع: كان يأخذ من قومه ربع ما يكسبون.

هذا الدين ما ترى من حاجتهم، فو الله ليوشكن المال
يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه، أو لعلك إنما يمنعك
من الدخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم فو الله ليوشكن أن
تسمع بالمرأة تخرج على بغيرها من القادسية حتى تزور
هذا البيت - أي تحج البيت الحرام - لا تخاف، أو لعلك
إنما يمنعك من الدخول في هذا الدين، أنك ترى ان الملك
والسلطان في غيرهم، وأيم الله ليوشكن ان تسمع بالقصور
البيض من أرض بابل فتحت عليهم.

قال: فأسلمت، فكان عدي بن حاتم يقول في نفسه
مضت اثنتان، وبقيت الثالثة ووالله ليكونن قد رأيت، وقد
رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت للإسلام،
وقد رأيت المرأة تخرج من القادسية على بغيرها لا تخاف
حتى تحج البيت الحرام، وأيم الله لتكونن الثالثة ليفيض
المال حتى لا يوجد من يأخذه (١).

(١) كتاب محمد رسول الله صلى الله عليه وآله اصدار المجمع العالمي لأهل
البيت عليهم السلام: ٢٦٠ و ٢٦١.

في أسد الغابة بعد حذف السند وذكر تسلسل آباءه،
قال وفد عدي بن حاتم على النبي صلى الله عليه وآله سنة تسعة في
شعبان وقيل: سنة عشرة من الهجرة، فأسلم وكان
نصرانيا، وذكر الحديث مفصلا كما ذكرناه أنفا حتى قال
عدي: فأتيت النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا عدي بن حاتم أسلم
تسلم، قلت: إن لي ديناً، قال: أنا أعلم بدينك، قلت: أنت
أعلم؟! قال: نعم مرتين أو ثلاث، ثم قال صلى الله عليه وآله: أأنت
ترأس قومك؟ قلت: بلى قال صلى الله عليه وآله: أأنت ركوسياً؟
أأنت تأكل المربع؟ قلت: بلى، قال: فإن ذلك لا يحل
لك في دينك، فنضضت لذلك، ثم قال: يا عدي؟ أسلم
تسلم (١)، ثم قال: يا عدي بن حاتم: ما أضرك أن يقال لا
إله إلا الله؟ فهل من إله إلا الله؟ وما أضرك أن يقال الله
أكبر؟ فهل من شئ هو أكبر من الله؟ فأسلمت فرأيت وجهه
استبشر، إلى آخر الحديث الذي ذكرناه بلفظ مقارب.
شهد عدي بن حاتم فتوح العراق، ووقعة القادسية،

(١) أسد الغابة ٣: ٣٩٢.

ووقعة مهران، ويوم الجسر مع أبي عبيدة بن الجراح وغير ذلك، وكان مع خالد بن الوليد لما سار إلى الشام، وشهد معه بعض الفتوح، وأرسل معه خالد بالأخماس إلى أبي بكر، وسكن الكوفة.

وقال الشعبي: أرسل الأشعث بن قيس إلى عدي ابن حاتم يستعيه قدور حاتم فملأها حبوبا وحملها الرجال إليه، فأرسل إليه الأشعث إنما أردنا فارغة، فأرسل إليه عدي: إنا لا نعيها فارغة. في رجال الكشي (١): من السابقين الذين رجعوا إلى الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام منهم: أبو التيهان، وأبو أيوب الأنصاري، وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين، وعدي بن حاتم، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وزيد بن أرقم، وأبو سعيد الخدري، وسهل، وعثمان أبناء حنيف، والبراء بن مالك، وعبادة بن الصامت، وقيس بن سعد بن عبادة، وعمرو بن الحمق الخزاعي، وعمران بن الحصين،

(١) رجال الكشي: ٣٨.

وبريدة الأسلمي، وبشر بن كثير وغيرهم، كما ذكر السيد الخوئي في معجم رجال الحديث (١١ : ١٣٤): وعدي ابن حاتم أيضا من السابقين الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام.

كان عدي مخالفا لعثمان بن عفان، شهد مع علي عليه السلام صفين، والنهروان، روى عنه الشعبي توفي في الكوفة أيام المختار بن عبيدة الثقفي عام - ٦٧ - ٦٨ - وقيل ٦٩، وله من العمر ١٢٠ مائة وعشرون سنة وقيل توفي بقرقيسيا، وقول الأول أصح. والله العالم.

وروي ان عدي بن حاتم قدم على عمر وقد رأى منه جفاء، فقال: أما تعرفني؟ قال عمر: بلى أعرفك قد أسلمت إذ كفروا، وعرفت إذ أنكروا، ووفيت إذ غدروا، وأقبلت إذ أدبروا، فقال عدي: حسبي، وكان عدي يشابه أباه حاتم في الكرم حتى انه كان يفت الخبز للنمل ويقول: انهن جارات، وفيه يقول الشاعر:

بأبيه اقتدى عدي في الكرم * ومن شابه أباه فما ظلم
قال الفضل بن شاذان: كان عدي بن حاتم من

السابقين الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام.
وقعة الجمل:

وقال ابن قتيبة: ذكروا ان عديا قام إلى علي عليه السلام
عند خروجه إلى حرب أهل الجمل في البصرة، فقال: يا
أمير المؤمنين لو تقدمت إلى قومي أخبرهم بمسيرك
وأستنفرهم فإن لك علي من طي ما معك، أي بقدر ما
معك من الجيش، فقال عليه السلام: نعم افعل، فتقدم عدي إلى
قومه، فاجتمعت إليه رؤساء طي فقال: يا معشر طي انكم
أمسكنم عن حرب رسول الله صلى الله عليه وآله في الشرك، ونصرتم الله
ورسوله في الإسلام على الردة، وعلي عليه السلام قادم عليكم
وقد ضمنت له مثل عدة من معه منكم فأنفروا معه، وقد
كنتم تقاتلون في الجاهلية على الدنيا، فقاتلوا اليوم في
الإسلام على الآخرة، فإن أردتم الدنيا فعند الله مغنم
كثيرة وأنا أدعوكم إلى الدنيا والآخرة وقد ضمنت عنكم
الوفاء وباهيت بكم فأجيبوا قولي، فإنكم أعز العرب دارا
ولكم فضول معاشكم وخيلكم فاجعلوا أفضل المعاش

للقِتال، وفضول الخيل للجهاد، وقد أظلكم الإمام علي عليه السلام والناس معه من المهاجرين، والبدرين، والأنصار، فكونوا أكثرهم عدداً فان هذا سبيل للحَي، فيه الغنى والعز والسرور، وللقتل فيه حياة والرزق الكريم فصاحت طيء قد هرم من الكبر، فرفع له من حاجبيه فنظر إلى علي عليه السلام وقال: أنت ابن أبي طالب؟ قال: نعم، فقال: مرحبا بك وأهلا قد جعلناك بيننا وبين النار، وعدينا بيننا وبينك ونحن بينه وبين الناس، والله لو أتيتنا غير مبائع لك لنصرتك لقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وآله وأيامك الصالحة، ولئن كان ما يقال فيك حقاً من الخير، ان في أمرك وأمر قريش لعجبا إذ أخرجوك وقدموا غيرك، سرف والله لا يتخلف عنك من طيء إلا عبد أو دعي، فشخص من طيء ثلاثة عشر ألف راكبا. شهد عدي مع الامام عليه السلام حرب الجمل وحرب صفين، وفقئت عينه في يوم الجمل وقتل أولاده طرفة وطريف ومطرف، وبقي بلا عقب هكذا روى.

فعبئ الإمام علي عليه السلام أصحابه، وكان على خيل
الميمنة عمار بن ياسر، وعلى الرجالة شريح بن هانئ،
وعلى خيل الميسرة سعيد بن قيس الهمداني، وعلى
رجالتها رفاعة بن شداد البجلي، وعلى خيل القلبي محمد
ابن أبي بكر، وعلى رجالتها عدي بن حاتم الطائي، وعلى
خيل الكمين عمرو بن الحمق الخزاعي، وعلى رجالتها
جندب بن زهير الأزدي، ثم جعل الإمام علي عليه السلام على
كل قبيلة من قبائل العرب سيذا من ساداتها يرجعون إليه
في أمورهم، وتقدمت الخيل والرجال.
وبرزت يومئذ عائشة على جملها عسكر، وعليه
هودج من الخشب وقد غشي بجلود الإبل، وسمر
بالمسامير، وألبس فوق ذلك الحديد.
ثم تقدمت الكتائب اثر الكتائب م من العسكرين،
فاقتلت قتالا شديدا، هذا يدافع عن دينه وعقيدته، وذلك
يدافع عن الهودج وما فيه، فتقدمت أجنحة جيش الامام
عليه السلام على ما يقابلها من أجنحة الجيش الضلال وتقدم مالك
الأشتر ومن معه، وتقدم خزيمة بن ثابت ومن معه، وتقدم

عدي بن حاتم ومن معه، وتقدم عمرو بن الحمق الخزاعي ومن معه، وتقدم سعيد بن قيس الهمداني، وتقدم غيرهم من قواد جيوش الامام عليه السلام وكل واحد منهم يرتجز ويتقدم نحو اليهودج المشؤوم واقتتلوا قتالا لم يسمع بمثله، وصار اليهودج الذي فيه عائشة كأنه جلد قنفذ مما فيه من النبل والسهام.

قال الأشر: رأيت عبد الله بن الحكم بن حزام خرج من معسكر أهل البصرة حاملا راية قریش، وبرز إليه عدي بن حاتم الطائي من معسكر الإمام عليه السلام فتصاولا كالفحلين فطعن ابن الحكم عديا ففقأ عينه، فتعاورناه فقتلنا ابن الحكم (١).

ولما شاهد الامام علي عليه السلام كثرة القتل، وتطايير الرؤوس والأيدي، نادى: لقد فنيت العرب ما دام اليهودج على الجمل، عرقبوه فإنه شيطان، فتقدم مالك الأشر، وعمار بن ياسر ومحمد بن أبي بكر (٢)، وعقروا الجمل من

(١) الطبري ٣: ٤٨، ط دار الكتب العلمية - بيروت.

(٢) وفي رواية الطبري كان عدي بن حاتم معهم.

وراءه فعرقبه من رجليه، فوقع الجمل لجنبه وضرب الأرض بجرانه، ورغا رغاء شديداً عالياً، وفر جيش عائشة فراراً لا يلوى على شيء كأنه الجراد المنتشر، فانهزم الجمع وولوا الدبر خاسئين، ألا لعنة الله على القوم الظالمين الناكثين.

وقعة صفين:

ورجع الامام علي عليه السلام إلى الكوفة، بعد انتصاره على جيش الضلال، وفي الشام قام معاوية يثير الناس على حرب الامام علي عليه السلام مطالباً بزعمه الثأر من قتلة عثمان وادعى بأنه ولي دمه، وعبأ الناس، وجيش الجيوش لمحاربة الإمام علي عليه السلام بهذه الحجة. ولما بلغ ذلك الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فأراد أن يعجل بالمسير إلى الشام، للدفاع عن دينه ورسالة السماء، فأشار عليه عامة الناس بالمقام في الكوفة، إلا هؤلاء القواد الخمسة: مالك الأشر، وعدي بن حاتم الطائي، وعمرو بن الحمق الخزاعي، وسعيد بن قيس

الهمداني، وهاني بن عروة المذحجي (١) فإنهم قاموا إلى
الإمام علي عليه السلام فقالوا: يا أمير المؤمنين، هؤلاء الذين
أشاروا عليك بالمقام انما يخافون حرب أهل الشام،
وليس في حربهم شئ هو أخوف من الموت، فسر بنا
إيهم، وفقك الله لما تحب وترضى! فأطرق علي عليه السلام
ساعة ثم قال: إنه ليس يتهياً لي المسير إليهم ورسولي
عندهم، وقد وقت لرسولي وقتاً لا يتأخر عنه إلا مخدوعاً
أو عاصياً، فاسكتوا ولا تعجلوا! فسكت الناس، وأنشد
النجاشي بن الحارث شعراً.

وجعل جرير رسول الإمام عليه السلام كل ما استعجل من
معاوية واستحثه في رد الجواب يقول معاوية: ويحك يا
أبا عمرو! لا تعجل، وأبلغني ريقى حتى أنظر في أمري،
واستطلع رأي أهل الشام، ثم إنى أجيب صاحبك على
كتاب هو كرامته لك.

(١) في الإمامة والسياسة ١: ١١٤ مالك الأشر، وعدي بن
حاتم، وشريح بن هانئ.

وجرت بعد ذلك عدة رسائل بين الإمام علي عليه السلام
ومعاوية تخللها أشعار وسار معاوية بخيله ورجله (١) حتى
نزل صفين في ثلاثة وثمانين ألفا (٢)، وذلك لأيام خلت من
المحرم، فسبق إلى سهولة الأرض وسعة المرعى وقرب
ماء الفرات فنزل هناك، ثم انه بنى بنيانا له، وضرب القباب
والخيام والفساطيط، وبنيت المعالف للخيل، واجتمعت
إليه العساكر من أطراف البلاد فصار في عشرين ومائة
ألف، ثم كتب إلى الامام علي عليه السلام بهذه الأرجوزة:
لا تحسبن يا علي غافلا * لأوردن الكوفة القبائلا
والمشرفي والقنا الذوابلا * من عامنا هذا وعاما قابلا
فأجابه الامام علي عليه السلام بهذه الأبيات:
أصبحت مني يا بن هند جاهلا * لأرمين منكم الكواهلا
تسعين ألفا رامحا ونابلا * يزدجرون الأرض والسواهلا

(١) ابن الأثير ٢: ٣٦١.
(٢) مروج الذهب ٢: ٨٥٤١٦ ألفا، وفي عقد الفريد ٤: ٢٣٧ في
بضع وثمانين ألفا.

بالحق والحق يزيح الباطلا * هذا لك العام وزرني قابلا (١)
فنادى الامام علي عليه السلام في الناس الصلاة جامعة، ثم
خطبهم خطبة بليغة، وقال: أيها الناس! ان معاوية بن أبي
سفيان قد وادع ملك الروم، وسار إلى صفين في الشام
عازما على حربكم، فإن غلبتموهم استعانوا عليكم
بالروم، وإن غلبوكم فلا حجاز ولا عراق، وقد زعم
معاوية لأهل الشام انهم أصبر منكم على الحرب، وهذا
كلام يستحيل عن الحق، لأنكم المهاجرون والأنصار
والتابعون، والقوم أهل شبهة وباطل، وإنما سميت شبهة
لأنها تشبه الحق، ولا يخلوا أن يكون فيها رشح من
الهدى، فخذوا في أهبة الحرب فقد تقارب إهراق دماء
القاسطين، ألا! وإن المشورة فيها البركة، فهاتوا رحمكم
الله ما عندكم!! (٢).

(١) وقعة صفين: / ١٣٧

(٢) وقعة صفين: ٩٢.

فقام إليه عمار بن ياسر فقال: يا أمير المؤمنين! ان استطعت أن لا تقيم يوماً واحداً فافعل، وأشخص (١) بنا إلى عدونا من قبل اجتماع عدونا على الصدور والفرقة، فإذا وافيت القوم فادعهم إلى حظهم ورشدهم، فان قبلوا سعدوا، وإن أبوا إلا حربنا فوالله إن سفك دمائهم، والجد في جهادهم لقربة إلى الله عز وجل وكرامة منه.
ثم قام قيس بن سعد بن عبادة فقال: يا أمير المؤمنين! أكمش (٢) بنا إلى حرب عدونا ولا تعرج (٣)، فوالله إن جهادهم لأحب إلينا من جهاد الروم والترك والديلم إلى آخر ما ذكرناه في ترجمة قيس بن سعد.
فقام بعدها سهل بن حنيف الأنصاري فقال: يا أمير المؤمنين! نحن سلم لمن سالمت، وحرب لمن حاربت، ورأينا رأيك، متى دعوتنا أجبتك ومتى أمرتنا أطعناك، وليس عليك منا خلاف، والسلام.

(١) كتاب الفتوح ٢: ٥١٠ و ٥٣٨.
(٢) الانكماش: الاسراع والجد.
(٣) العرجة: التريث.

فوثب حنظلة بن الربيع، مثبطا، وكان ممن يكاتب معاوية وعين له. فقام إليه عبد الله بن المعتمر مساندا له وقال: فأما الدائرة فإنها على الظالمين العاصين القاسطين ظفروا أو لم يظفروا (تعقبا على كلام أمير المؤمنين عليه السلام)، كلام فيه من المطاطية والتذبذ.

فوثب عباس بن شريك العبسي، ومالك بن حبيب اليربوعي، فكشفوا عن خيانة وعمالة عبد الله بن المعتمر، وحنظلة بن الربيع، وطلبوا من أمير المؤمنين أن يدفعهما إليهما ليقتلاهما أو يحبسهما إلى حين الفراغ من معاوية. فقال الإمام عليه السلام: يا حنظلة، ويا بن المعتمر، اني قد سمعت كلامكما، والله بيني وبينكما وإليه أكلكما، فاذهبا حيث شئتما، فهربا جميعا، فأما عبد الله بن المعتمر فصار إلى معاوية، واما حنظلة فاعتزل الفريقين.

ثم قام عدي بن حاتم فقال: يا أمير المؤمنين! انك ما قلت إلا بعلم، ولا دعوت إلا إلى الحق، ولا أمرت إلا بالرشد، ولكن أن أن تتأني بالقوم ولا تعجل بالمسير إليهم، وتبعث إليهم بكتبك وتقدم عليه رسلك، فان قبلوا

يصبوا رشدهم، والعاقبة أوسع لنا ولهم، وان ساروا (١) في الشقاق ولم ينزعوا عن الغي فسر، وقدمنا إليهم العذر. ثم قام زيد بن صوحان العبدي، فتكلم بكلام بليغ، وقام بعده عمرو بن الحمق الخزاعي، وقام يزيد بن قيس الأرحبي، وبعده قام عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي وكل منهم أبدى وجهة نظره بين حاث على المسير وبين متريث.

فدعا الإمام علي عليه السلام شيث بن ربعي الرياحي، وعدي بن حاتم الطائي ويزيد بن قيس الأرحبي، وزياد ابن خصفة التميمي، فأرسلهم إلى معاوية وقال لهم: أعدروا إليه وأنذروه قبل الإقدام على الحرب. فجاء القوم حتى دخلوا على معاوية، وتقدم عدي ابن حاتم، فقال: يا معاوية! إننا قد أتيناك ندعوك إلى أمر الله، يجمع الله كلمتنا ويحقن دماء المسلمين، وندعوك إلى أفضل الناس سابقة وأحسنهم في الإسلام أثرا، وقد اجتمع

(١) وقعة صفين: ٩٩.

الناس إليه، وأرشدهم لله تعالى بالذي رأوا فاتقي الله يا معاوية وائته عما قد أزمعت عليه من قبل أن يصيبك الله وأصحابك بما أصاب به أنصار الجمل، فقال معاوية: كأنك انما جئت متهددا، كلا والله يا عدي! إني لابن صخر ابن حرب ما يقعق لي بالشنآن، اما انك من المجليين على عثمان وأنا أرجو أن تكون ممن يقتله الله!، فأراد عدي اجابته فسبقه شبت بن ربي فقال: يا معاوية! لقد أتيناك فيما يصلحنا وإياك، فصرت تضرب لنا الأمثال التي لا ينتفع بها أحد.

ثم تكلم يزيد بن قيس فقال: يا معاوية! اننا لم نأتك إلا لنبلغ ما بعثنا به ونؤدي عنك ما نسمعه منك، وان صاحبنا هو من قد عرفته وعرفه المسلمون، وإننا والله ما رأينا رجلا قط أعمل بالتقوى ولا أهدى في الدين، ولا أجمع خصال الخير كلها منه.

فأجابهم معاوية بقوله: انكم قد دعوتم إلى الطاعة والجماعة، فاما الجماعة التي دعوتم إليها فنعمما هي! وأما الطاعة لصاحبكم فإننا لا نراها واجبة علينا، لأن

صاحبكم قتل خليفتنا وفرق جماعتنا وهو يزعم انه لم يقتل ولم يأمر، ونحن لا نرد ذلك عليه غير ان قتلة صاحبنا عنده، فليدفع إلينا لنفديهم بصاحبنا ونحن نجيبكم إلى الطاعة والجماعة (١).

ثم كتب الامام علي عليه السلام إلى عماله يأمرهم بالمسير إليه، وأعلمهم انه يريد أن يسير إلى الشام لمحاربة أهلها، فأقبل إليه عبد الله بن العباس من البصرة، ومخنف بن سليم من أصفهان، وسعيد بن وهب من همدان، فاجتمع إليه من جميع البلاد التي كانت في يده، وآخر من قدم عليه من عماله الربيع بن خيثم قدم من الري في أربعمئة مسلح أو يزيدون.

ثم قام الامام علي عليه السلام فخطب الناس وندبهم إلى المسير إلى الشام، فقوم أسرعوا وأجابوا، وقوم كرهوا الخروج إلى الشام. فعندنا أمر الامام علي عليه السلام الحارث الأعور أن

(١) الطبري ٦ : ٣.

ينادي في الناس ان اخرجوا إلى معسكركم بالنخيلة وأمر مالك بن حبيب اليربوعي أن يحشر الناس إلى المعسكر، ثم دعا بأبي مسعود عقبة بن عمرو (١) فاستخلفه على الكوفة، ونادى في الناس بالرحيل، فرحلت (٢)، وهم يومئذ تسعون ألفاً وثمانمئة رجل (٣) وفيهم ممن بايع النبي صلى الله عليه وآله تحت الشجرة.

وقال سعيد بن جبير وقال الحكم بن عتيبة وقال سليمان بن مهران ما مضمونه: كان مع الامام علي عليه السلام يومئذ ثمانون بدرية وتسعمائة من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وممن بايع تحت الشجرة، وفي رواية أخرى ثمانمئة رجل من الأنصار، وتسعمائة رجل ممن بايع تحت الشجرة. وقال عبد الرحمن بن أبي بكر: كان مع علي سيد

(١) مروج الذهب ٢: ٤١٥.

(٢) كان ذلك يوم الأربعاء لخمس خلون من شوال سنة ٣٦ هـ،

مروج الذهب ٢: ٤١٥، وقعة صفين: ١٣١

(٣) كذا بالأصل ومروج الذهب، وفي العقد الفريد (٤: ٣٣٧): ٩٥٠ ألفاً.

التابعين أويس القرني، وقتل بصفين بين يدي الامام علي عليه السلام، فلما انقضى شهر محرم وأهل شهر صفر من سنة ٣٧ هـ، بعث الامام علي عليه السلام رجلا من أصحابه، يقال له مرثد بن الحارث، حتى وقف بين الصفين قريبا من عسكر معاوية، ثم نادى بأعلى صوته عند غروب الشمس: يا أهل الشام! ان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يقول لكم، إنا كففنا عنكم هذا الشهر الحرام فلم تكفوا عنا، ووالله ما كففنا عنكم شكا في أمركم ولا جبننا عنكم، وإنما كففنا لخروج هذا الشهر المحرم لترجعوا إلى الحق، واحتججنا عليكم بكتاب الله عز وجل ودعوناكم، فلم تنتهوا عن الطغيان، والظلم والعدوان، والكذب والبهتان، ولم تجيبوا إلى الحق والبرهان فانا قد أنذرناكم على سواء ان الله لا يحب الخائنين.

فعلم أهل الشام ان الامام علي عليه السلام سيحاربهم وإنه إنما كان ينتظر انسلاخ الشهر، ففزعوا إلى معاوية، وذلك في أول يوم من شهر صفر من سنة ٣٧ هجرية، فعبئ معاوية أصحابه واستعد لخوض غمار الحرب.

وعبئ الإمام علي عليه السلام أصحابه (١) فجعل علي خيل
الميمنة الإمامين الحسن والحسين سبطي رسول الله صلى الله عليه وآله،
وعلى رجالتها عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، ومسلم بن
عقيل بن أبي طالب، وعلي خيل الميسرة محمد بن الحنفية
ابنه ومحمد بن أبي بكر، وعلي رجالتها هاشم بن عتبة
المرقال وأخوه عمر بن عتبة، وعلي خيل القلب عبد الله
ابن العباس، والعباس بن ربيعة بن الحارث، وعلي
رجالتها مالك الأشتر، والأشعث بن قيس، وعلي خيل
جناح الميسرة سعيد بن قيس، وعبد الله بن بديل بن
ورقاء الخزاعي، وعلي رجالتها رفاعة بن شداد العجلي،
وعدي بن حاتم الطائي، وعلي خيل الكمين عمار بن
ياسر وعمرو بن الحمق الخزاعي، وعلي رجالتها عامر بن
واثلة، وقبيصة بن جابر الأسدي، ثم جعل الإمام علي عليه السلام
علي كل قبيلة من قبائل ربيعة ومضر رجلا من رؤسائهم
)

(١) الطبري ٦: ٦، الأخبار الطوال: ١٧١ - ١٧٢، وقعة صفين:
٣٠٥ - ٢٠٦.

يعتدون به وينتهون إلى أمره، ودنا العسكران بعضهم من بعض، واشتبك القتال (١).

ولعدي بن حاتم في صفين مقامات مشهورة.

روى نصر بن مزاحم قال: جاء عدي بن حاتم في يوم من أيام صفين يلتمس علياً عليه السلام وما يظاً إلا على إنسان ميت أو قدم أو ساعد مقطوع فوجده تحت راية بكر ابن وائل، فقال: يا أمير المؤمنين ألا تقوم حتى نموت، فقال علي عليه السلام: ادن مني فدنا منه حتى وضع أذنه عند أنفه، فقال: ويحك يا عدي إن عامة من معي يعصيني وإن معاوية فيمن معه يطيعه ولا يعصيه فأنشد عدي بن حاتم: أقول لما إن رأيت المعمعة * واجتمع الجندان وسط البلقعه هذا علي والهدى حقا معه * يا رب فاحفظه ولا تضيعه فإنه يخشاك رب فادفعه * ومن أراد غيه فضعضه

(١) تجد ذلك مفصلاً في كتاب الفتوح ٣: ٤.

وروى نصر بن مزاحم أيضا، قال: انتدب لعلي عليه السلام
همام بن قبيصة من عسكر الشام، وكان من أشتم الناس
لعلي عليه السلام، وكان معه لواء هوازن فقصد لمذحج وهو يقول
شعرا ويرتجز.

فخرج له عدي بن حاتم وقال لصاحب رايته ادن
مني فأخذه وحمله وهو يرتجز ويقول:
يا صاحب الصوت الرفيع العالي * إن كنت تبغي في الوغى نزالي
فادن فاني كاشف عن حالي * أفدي عليا مهجتي ومالي
وأسرتي تتبعها عيالي

فضربه عدي بن حاتم ضربة سلبه لواءه فانهمز
فأنشد ابن حطان وقال شامتا به:
أهمام لا تذكر مدى الدهر فارسا * وعض على ما جئته بالآباهم
سما لك يوما في العجاجة فارس * شديد قصير ذو شجا وعمائم

فوليته لما سمعت نداءه * تقول له خذ يا عدي بن حاتم
فأصبحت مسلوب اللواء مذذباً * وأعظم بهذا منك شتمة شاتم
وخرج فارس من جذام على أصحاب الامام عليه السلام،
فلم يزل يقاتل أشد القتال فنظر اليه عدي بن حاتم فلم
يرتد، فحمل عليه عدي بن حاتم محققاً فطعنه في ليطه
طعنة جدله بها.

ثم جال عدي وهو يرتجز ويقول:
قد علمت غسان مع جذام * إني كريم ثابت المقام
في النسب في آبائنا الكرام * أحمي إذا ما زيل بالأقدام
ثم جاء الليل فحجز بين الفريقين، فباتوا ليلتهم
تلك، فلما أصبحوا وأذن مؤذن الامام علي عليه السلام فصلى بهم
الفجر، ثم وثب فعبئ أصحابه كما كان يعبئهم كل يوم،
وعبئ معاوية أصحابه، وزحف الفريقان بعضهم على

بعض، فإذا بصفوف أربعة من أهل الشام (١) قد قيدوا أنفسهم بالعمائم عازمين على الموت، وأبو الأعور السلمي امام الصفوف يحرض على القتال وهو يقول: يا أهل الشام إياكم والفرار، فإنه سبة وعار. فصاح أصحاب الصفوف الذين قيدوا أنفسهم بالعمائم: والله لا برحنا هذه العرصة أو يرضى معاوية. فتقدم سعيد بن قيس الهمداني في همدان، وتقدم عدي بن حاتم في طى، وتقدم الأشر في مدحج، وتقدم الأشعث في كنده، وجعل كل رئيس من رؤساء العراق يقدم قومه، حتى اجتمع منهم خلق كثير، ثم كبروا وحملوا على تلك الصفوف الأربعة أو الخمسة، فقتلوا منها على أكثر من ثلاثة آلاف فارس، وكان معظمهم من الأزد وبجيلة، في بقعة واحدة، ثم حملوا على جمهور أصحاب معاوية حتى علوهم، وجلوهم، فالجؤوهم إلى تل فصعدوا عليه، وصعدت همدان في أثرهم خاصة.

(١) وقعة صفين: ٣٢٩ خمسة صفوف.

وجعل معاوية يمد أصحابه، والامام علي عليه السلام يمد أصحاب، فصار عمار بن ياسر ينادي: صبرا عباد الله صبرا فإن الجنة تحت طلال السيوف والأسنة.

فجعلت كندة تقاتل لكندة، وطئ لطي، ومدحج لمدحج، والأزد للأزد، وبجيعة لبجيعة، وهمذان لهمذان، وتميم لتميم، وكل قوم يقاتلون عشائهم، فلم يزالوا على ذلك من وقت اعتدال الشمس إلى أن حانت إلى الغروب، وما كانت الصلاة إلا بالتكبير.

وجعل هاشم المرقال يقول: ليعلمن أمير المؤمنين بأني سألق اليوم من جماجم القوم، ولألفنهم لف رجل ينوي الآخرة ان شاء الله، وجعل يقاتل قتالا شديدا لم ير الناس مثله.

فلما انتهى الأمر إلى التحكيم وكتب الكتاب وثب الأشر النخعي، وعدي بن حاتم الطائي، وعمرو بن الحمق الخزاعي، وشريح بن هانئ المدحجي وزهير بن قيس الجعفي، والأحنف بن قيس التميمي، ومن أشبههم من فرسان علي عليه السلام فقالوا: يا معاوية إياك أن تظن بنا ميل

الحق، فإننا اليوم على ما كنا بالأمس، غير انكم استغثتم بالمصاحف ودعوتمونا إلى كتاب الله.
وروى نصر بن مزاحم قال: روى ان عمر بن الخطاب دعا عابس بن سعد الطائي وكان عدي بن حاتم تزوج أخته، وأولد منها ابنه زيدا، فقال عمر بن الخطاب: اني أريد أن أوليك قضاء حمص، فكيف أنت صانع؟ قال: اجتهد رأيي واستشير جلسائي، فانطلق عابس بن سعد فلم يلبث إلا يسيرا حتى رجع إلى عمر بن الخطاب فقال: يا أمير المؤمنين اني رأيت رؤيا أحب أن أقصها عليك، قال عمر هاتها: قال رأيت كأن الشمس أقبلت من المشرق ومعها جمع عظيم، وكأن القمر أقبل من المغرب ومعها جمع عظيم، فقال عمر: مع أيهما كنت؟ فقال: مع القمر، فقال عمر: كنت من الآية الممحوة، لا والله لا تعمل لي على عمل فرده.

وفيما بعد شهد عابس بن سعد الطائي مع معاوية صفين، وكانت راية طيء معه فقتل يومئذ، فمر به عدي بن حاتم ومعها ابنه زيد بن عدي فرآه قتيلا فقال: يا أبة هذا والله خالي، قال نعم، يلعن الله خالك فبئس والله المصرع

مصرعه، فوقف زيد بن عدي وقال: من قتل هذا الرجل
مرارا، فخرج إليه رجل من بكر بن وائل - طوال وائل -
فقال: أنا والله قتلته، قال: كيف صنعت به؟ فجعل يخبره،
فقطعنه زيد بالرمح فقتله، فحمل عليه أبوه عدي يسبه
ويسب أمه، ويقول: يا ابن المايقة لست على دين محمد
ان لم أرفعك إليهم، فضرب زيد بن عدي فرسه فلحق
بمعاوية فأكرمه وحمله وأدنى مجلسه، فرفع عدي بن
حاتم يده فدعا عليه فقال: اللهم ان زيدا قد فارق، ولحق
بالمحلين، اللهم فارمه بسهم من سهامك لا يشوي لا
يخطئ فان رميتك لا تنمي لا والله لا أكلمه من رأسي
كلمة أبدا، ولا يظلني وإياه سقف بيت أبدا.
لما لحق زيد بمعاوية انتهز البعض من أهل العراق
فرصة وتكلموا في عدي بن حاتم، فقام عدي إلى الامام
عليه السلام وتكلم معه بحديث مسهب وقال: والله لو وجدت زيدا
لقتلته، ولو هلك ما حزنت عليه، فأثنى عليه الامام علي
عليه السلام خيرا (١)، فأنشد عدي في ذلك شعرا:

(١) ذكرها صاحب الدرجات الرفيعة: ٣٦٠.

أيا زيد قد عصيتني بعصاة * وما كنت للثوب المدلس لابسا
فليتك لم تخلق و كنت كمن مضى * وليتك إذ لم تمض لم تر عابسا
إلى أن قال:
نكصت على العقبين يا زيد برده * وأصبحت قد جدعت منا المعاطسا
قتلت إمرأ من آل بكر بن وائل * فأصبحت مما كنت آمل آيسا
وقعة النهروان:

بينما الامام علي عليه السلام مقيم في الكوفة ينتظر انقضاء
المدة التي طالت بينه وبين معاوية ليرجع إلى محاربتة
لإحقاق الحق وادحاض الباطل ومن تبعه من أهل الشام،
إذ تحركت طائفة من أصحابه في أربعة آلاف رجل، وهم
من النساك العباد، ذات الجباه السود الذين يعبدون الله
على حرف، فخرجوا من الكوفة وتحزبوا وخالفوا الامام

عليه السلام وقالوا: لا حكم إلا لله ولا طاعة لمن عصى الله،
وانحاز إليهم ما ينيف على الثمانية آلاف رجل آخر ممن
يرى رأيهم، فصار القوم في اثني عشر ألفاً، وساروا حتى
نزلوا بحر وراء (١)، وقد أمروا عليهم عبد الله بن وهب
الراسبي، وحرقوق بن زهير البجلي - المعروف بذي
الثدية، وعزموا أن يعسكروا بالنهروان.
فدعا الامام عليه السلام ابن عباس فأرسله إليهم، وقال:
امضي إلى هؤلاء القوم فانظر ما هم عليه ولماذا
اجتمعوا؟! فخرج إليهم وحاججهم فلم يفلح في
ارجاعهم، أو ثنيهم عن مقصدهم واستمرت الغارات حتى
خرج إليهم الامام عليه السلام بنفسه وحي بهم، وهم لا يزالون
بحروراء، وخرج إليه عبد الله بن الكواء، ولما يأس الامام
منهم اتجه إلى أصحابه وخطبهم وحثهم على الخروج
وجهاد المارقين، فأجابته الناس سراعا فاجتمع إليه أربعة
آلاف مقاتل أو يزيدون وهم الطليعة الأولى لجيشه،

(١) حروراء: قرية بظاهر الكوفة نزل بها الخوارج فنسبوا إليها.

فخرج بهم من الكوفة وبين يديه عدي بن حاتم الطائي
يرفع صوته ويرتجز ويقول:
نسير إذا ما كاع قوم وبدلوا * برايات صدق كالنصور الخوافق
إلى شر قوم من شراة تحزبوا * وعادوا إله الناس رب المشارق
طغاة عمارة مارقين عن الهدى * وكل لعين قوله غير صادق
وفينا علي ذو المعالي يقودنا * إليهم جهارا بالسيوف البوارق
سار الامام علي عليه السلام وجيشه بعد ذلك حتى نزل
على فرسخين من النهروان، ثم دعا بغلامه فقال له: اركب
إلى هؤلاء القوم وقل لهم عني، ما الذي حملكم على
الخروج علي؟ ألم أقصد في حكمكم؟ ألم أعدل في
قسمكم؟ ألم أقسم فيكم فيئكم؟ ألم أو قر كبيركم؟ ألم
تعلموا اني لم اتخذكم خولا؟ ولم أجعل ما لكم نفلا؟
وانظر ما يردون عليك وان شتموك فاحتمل، وإياك أن

ترد على أحد منهم شيئاً.
فأقبل غلام علي حتى أشرف على القوم بالنهروان،
فقال لهم ما أمره به الامام عليه السلام. فقالت له الخوارج: ارجع
إلى صاحبك فلسنا نجيبه إلى شئ يريد أبدأ، وخبره ان
اجتماعنا هنا لجهاده ومحاربتة لا لغير ذلك.
فرجع الغلام إلى الامام عليه السلام وأخبره بما سمع من
القوم، فعند ذلك كتب إليهم الامام عليه السلام ووعظهم، وذكرهم
الله، ثم ذهب إليهم بنفسه فخطبهم وطلب منهم الاشكالات
التي نقموا عليه منها واعتراضاتهم، فذكروها وأجابهم
عليها واحدة واحدة وفندها بحجته القوية والواضحة، ثم
قال لهم بعد ذلك: هل بقي عندكم شئ غير ذلك تحتجون
به علي؟ فسكت الجميع وجعل بعضهم يقول لبعض:
صدق علي فيما قال، ولقد دحض جميع ما أحتجنا عليه
ولا حجة لنا، وبعدها صاح القوم من كل ناحية وقالوا:
التوبة التوبة يا أمير المؤمنين.
فاستأمن إليه ثمانية آلاف رجل، وبقي على
حربة أربعة آلاف، وأقبل الامام عليه السلام إلى هؤلاء

المستأمنين إليه فقال لهم: اعتزلوا عني والتحقوا تحت راية ابن العباس في وقتكم هذا وذروني وهؤلاء القوم. وبعد تقديم جميع الأعذار إليهم فلم يرددعوا، ثم ابتدؤا بقتاله فقاتلهم ساعة من نهار ولم ينج منهم إلا ثمانية. فراحوا ضحية الشبهة والشيطان الذي زينه لهم. إنا لله وإنا إليه راجعون.

هذا ملخص عما حدث في الوقائع الثلاثة ومن يرد التفاصيل فليراجع الجزء الثالث من كتابنا علي في الكتاب والسنة والأدب.

قال أبو مخنف، وقد كان عبد الله بن خليفة الطائي شهد مع حجر بن عدي فطلبه زياد ابن أبيه فتواري، فبعث إليه الشرطة، وهم أهل الحمراء، يومئذ، فأخذوه، فخرجت أخته النوار فقالت: يا معشر طيء، أتسلمون سنانكم ولسانكم عبد الله بن خليفة؟ فشد الطائيون على الشرطة إلى زياد فأخبروه فوثب على عدي بن حاتم وهو في المسجد، فقال: أتتني بعبد الله بن خليفة،

قال: وما له؟ فأخبره، قال: فهذا شيء كان في الحي لا علم لي به، قال زياد: لتأتيني به، قال: لا، والله لا أتيتك به أبدا، أحيئك بابن عمي تقتله؟ والله لو كان تحت قدمي ما رفعتها عنه، فأمر به السجن، فلم يبق بالكوفة يماني ولا ربعي إلا أتاه وكلمه، وقالوا: تفعل بعدي بن حاتم صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: فاني اخرجته على شرط، قالوا: ما هو، يخرج ابن عمه عني فلا يدخل الكوفة ما دام لي بها سلطان. فأتي عدي فأخبر بذلك، فقال: نعم. فبعث عدي إلى عبد الله بن خليفة فقال: يا ابن أخي ان هذا قد لح في أمرك، وقد أباي إلا إخراجك عن مصرك ما دام له سلطان، فالحق بالجبلين، فخرج، فجعل عبد الله بن خليفة يكتب إلى عدي، وجعل عدي يمينه، إلى أن مات عبد الله بالجبلين قبل موت زياد بشهر.

روى الشريف المرتضى رحمه الله في كتاب الغرر والدرر، ان عديا دخل على معاوية، فقال له: ما فعل الطرفان؟ يعني أولاده طريفا وطرافا وطرفة، قال: قتلوا مع علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال: ما أنصفك ابن أبي طالب قدم بنيك

وأخر بنيه، فقال عدي: بل أنا ما أنصفته أن قتل وبقيت بعده، وقال: ما أبقى لك الدهر من حب علي؟ فقال: حبه ليتجدد في القلب وان ذكره يتردد في اللسان. وروي انه حضر جماعة من قريش عند معاوية وعنده عدي بن حاتم وكان فيهم عبد الله بن الزبير، فقال لمعاوية: ذرنا نكلم عديا فقد زعموا ان عنده جوابا، فقال معاوية: اني أحذركموه فقالوا: لا عليك دعنا وإياه، فقال له ابن الزبير: يا أبا طريف متى فقئت عينك؟ قال يوم فر أبوك وقتل شر قتلة، وضربك الأشر على استك ف وقعت هاربا من الزحف، فأنشد شعرا يهجو: اما وأبي يا ابن الزبير لو انني * لقيتك يوم الزحف ما رمت بي سخطا وكان؟ بي في طئ وأبو أبي * صحيحين لم ينزع عروقهما القبطا ولو رمت شتمي عند عدل قضاؤه * لرمت يا ابن الزبير مدى شحطا فقال معاوية: قد كنت حذرتكموه فأبيتم.

قال مؤلف كتاب الدرجات الرفيعة (١)، عرض عدي بقول صحيحين لم ينزع عروقهما القبطا، إشارة بما ذكره النسابة والمؤرخون من ان العوام أبا الزبير كان رجلا من القبط من أهل مصر، وكان مملوكا لخويلد اشتراه من مصر وتبناه، وانما سمي العوام لأنه كان يعوم في نيل مصر ويخرج ما يغرق فيه من متاع الناس، وأنشد فيه أبيات منها:

بني أسد ما بال آل خويلد * يحنون شوقا كل يوم إلى القبط
احمري بني العوام ان خويلدا * غداة تبناه ليوثق في الشرط
دخل عدي بن حاتم يوما على معاوية بعد شهادة
الامام أمير المؤمنين عليه السلام وكان عنده عمرو بن العاص،
ورجل من بني الوحيد، فسلم عدي بن حاتم فردوا جميعا
عليه السلام، فلما استقر قال له معاوية: أبا طريف! ما

(١) الدرجات الرفيعة: ٣٦١.

الذي أبقى لك الدهر من ذكر علي بن أبي طالب؟
فقال عدي: وهل يتركني الدهر ان لا أذكره.
قال: فما الذي بقي في قلبك من حبه؟
قال عدي: كله وإذا ذكر ازداد.
فقال معاوية: ما أريد بذلك إلا إخالق ذكره (١).
فقال عدي: قلوبنا ليست بيدك يا معاوية.
فضحك معاوية ثم قال: يا معشر طيء انكم ما زلتُم
تشرفون الحاج وتعظمون الحرم. فقال عدي: إنا كنا نفعل
ذلك ونحن لا نعرف حلالاً ولا ننكر حراماً، فلما جاء الله
عز وجل بالإسلام غلبناك وأباك على الحلال والحرام،
وكننا للبيت أشد تعظيماً منكم له. فقال معاوية: عهدي بكم
يا معشر طيء وإن أفضل طعامكم الميتة. فقال عمرو بن
العاص والرجل الذي عنده من بني وحيد: كف يا أمير
المؤمنين فإنه بعد صفيين ذليل. فقال عدي: صدقتُم. ثم
خرج عدي من عند معاوية وأنشأ يقول:

(١) إخالق ذكره، أي: نسيان ذكره.

يحاولني معاوية بن حرب * وليس إلى الذي يرجو سبيل
يذكرني أبا حسن عليا * وخطبي في أبي حسن جليل
يكاشرنى ويعلم أن طرفي * على تلك التي أخفي دليل
وكان جوابه عندي عنيدا * ويكفي مثله مني القليل
وقال ابن الوحيد وقال عمرو * عدي بعد صنفين ذليل
فقلت صدقتما قد هد ركني * وفارقني الذي بهم أصول
ولكنى على ما كان منى * أبلبل صاحبي بما تقول
وإن أخاكم في كل يوم * من الأيام محمله ثقيل

بسم الله الرحمن الرحيم
إن الله مع الذين اتقوا* والذين هم محسنون (١)
مالك بن نويرة
الحواريون
خريجو مدرسة الرسول الأعظم وأمير المؤمنين
صلوات الله عليهم أجمعين

(١) النحل: ١٢٨.

مالك بن نويرة
مالك بن نويرة بن جمرة بن شداد اليربوعي
التميمي، يكنى أبا حنظلة، ويلقب بالجفول.
قال المرزباني: كان فارسا شريفا، شاعرا معدودا
في فرسان بني يربوع في الجاهلية وأشرافهم، وكان من
أرداف الملوك يقال له فارس ذي الخمار وله لمة
كبيرة، وكانت فيه خيلاء وفي أمثالهم فتى لا كمالك.
أدرك رسول الله صلى الله عليه وآله وأسلم على يده، وحسن
إسلامه، وولاه صدقات قومه بني يربوع وأسلم معه
أخوه متمم بن نويرة.
مالك بن نويرة صحابي جليل، شهيد الولااء، وقتيل

الأعداء غدرا.

لقد شهد مالك، بيعة يوم الغدير بخم، وشاهد رسول الله صلى الله عليه وآله واقفا على أحداج الإبل، رافعا ابن عمه علي بن أبي طالب يمينه وسمعه مناديا " ألا من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم والي من والاه وعادي من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله " معلنا بذلك الولاية لعلي، ونصبه أميرا للمؤمنين، فبايعه على ذلك، كما بايعه كل من حضر من المسلمين على ذلك، والشاهدين في هذه البيعة الذين يزيدون على المائة ألف مسلم أعم أن يكونوا رجالا ونساء بما فيهم الشيخان أبو بكر وعمر قائلين: بخ... بخ... لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة.

ولم تمض أكثر من سبعين يوما حتى التحق الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله بالرفيق الأعلى - وما كان يتصور أحد أن يجرأ للتسلل على منصة الولاية، ويدفع الخليفة الحقيقي الذي نصبه رسول الله صلى الله عليه وآله عنها، ألا بمؤامرة بعض الأصحاب من المهاجرين الذين دبروا الأمر فيما بينهم

بالظلام من أصحاب الصحيفة - أمر دبر بليل - وجرى الانقلاب كما ذكرنا ذلك مفصلا في موسوعة علي في الكتاب والسنة والأدب، والمجلدات الأولى من "موسوعة المصطفى والعترة"، عند ذلك عقد الأنصار اجتماعهم الخطير في سقيفة بني ساعدة لانتخاب زعيمهم سعد بن عباد، وقبل أن تتم الصفقة وتنعقد البيعة، داهم الاجتماع نفر من قريش السقيفة وفي مقدمتهم أبو بكر وعمر وعبيدة بن الجراح، فقاموا بفذلكة سياسية محبوكة، وبدعائهم استطاعوا أن يثيروا الأحقاد القديمة بين قبائل الأوس والخزرج وتفرقة جمعهم وفك ارتباطهم الذي ربطهم بها رسول الله صلى الله عليه وآله وجعلهم أمة واحدة يدافع بعضهم البعض وتعينهم مصالحهم المشتركة خاصة، ومصصلحة الاسلام عامة.

وبخطة مدبرة، في أدوار متناوبة قام بها القرشيون فينا بينهم، وبعد صراع مرير جرى بين المهاجرين والأنصار، قفز أبو بكر على سدة الحكم والخلافة، وزف إلى المسجد كما تزف العروس، خابطين أيدي الناس

وما سحيتها على يده، بعنوان البيعة شاء أم أبي.
وأمر المؤمنين علي وأهل بيته وجميع الهاشميين
مذهولين من شدة المصاب، ورسول الله صلى الله عليه وآله جثة هامدة
مسجى بينهم، مشغولين بتجهيزه.
لما شاهد وسمع مالك بن نويرة تلك الأحداث
السريعة والمؤامرات المدبرة، ولم تمضي على بيعته للامام
علي بالولاية في غدير خم أكثر من سبعين يوماً، فمن
الطبيعي أن يترث في دفع الصدقات ريثما ينجلي
الموقف، وتستقر الأمور ويتعين أمر الخليفة الحقيقي أمير
المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.
قال ابن حجر العسقلاني في الإصابة (١) عند ذلك
أمسك أي مالك الصدقة وفرقها في قومه.
وقد صرح بذلك في شعره حيث يقول:
قالت رجال سدد اليوم مالك* وقال رجال، مالك لم يسدد

(١) الإصابة ٥: ٧٥٤ - ٧٥٦.

فقلت دعوني لا أبا لأبيكم * فلم أخط رأيا في المقال ولا يد
وقلت خذوا أموالكم غير خائف * ولا ناظر فيما يجيء به غدي
فدونكموها إنما هي مالكم * مصررة أحلافها لمتجدد
سأجعل نفسي دون ما تحذرونه * وأرهنكم يوما بما قلته يدي
فان قام بالأمر المجدد قائم * أطعنا وقلنا الدين دين محمد
فصرح... انه سيبقي الصدقة في أيدي قومه، إلى أن
يقوم بالأمر من يدفع ذلك إليه.
وفي مستهل خلافة أبي بكر جمع الصحابة
يستشيرهم في قتال الذين يترثون في النزول على أمر
أبي بكر في أداء الزكاة، فكان رأي عمر بن الخي أب،
وطائفة من المسلمين معه أن لا يقاتلوا قوما يؤمنون بالله
ورسوله صلى الله عليه وآله، وان يستعينوا بهم على عدوهم، ولعل

أصحاب هذا الرأي كانوا أكثر الحاضرين، في حين كان الذين أشاروا بالقتال هم القلة، وأغلب الطن ان المجادلة بين القوم في هذا الأمر البالغ الخطورة طالت واحتدمت، فقد اضطر أبو بكر أن يتدخل بنفسه فيها يؤيد القلة، ولقد اشتد في تأييد رأيه في ذلك المقام، يدل على ذلك قوله والله لو منعوني عقلا كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله لقاتلتهم على منعه، ولم يثن هذا المقال عمر عن أن يرى ما في القتال من تعرض المسلمين لخطر تخشى مغيبته، فقال في شيء من الحدة: كيف تقاتل الناس، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله وان محمدا رسول الله، فمن قالها عصم مني ما له ودمه إلا بحقها، وحسابهم على الله.

لكن أبا بكر لم يترث ولم يتردد في إجابة عمر فقال: " والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، وقد قال: إلا بحقها ".

وذكر ابن سعد عن الواقدي، فقتله - أي مالك - ضرار بن الأزور الأسدي صبورا، بأمر خالد بن الوليد، ثم خلفه خالد على زوجته.

فقدم أخوه متمم بن نويرة على أبي بكر بصحبة
أبي قتادة شاكيا فأنشده مرثية أخيه وهو متكئا على
قوسه وقال كما ذكر في الإصابة عن طريق الطبري: ان
خالد بن الوليد لما أتى البطاح بث السرايا فأتى بمالك
ونفر من قومه، فاختلفت السرية، فكان أبو قتادة ممن
شهد انهم أذنوا وأقاموا الصلاة، وصلوا، ومع ذلك
فحبسهم خالد في ليلة باردة، ثم أمر مناديا فنادى أذفتوا
أسراكم، وهي في لغة كنانة كناية عن القتل فقتلوهم،
فتزوج خالد بعد ذلك امرأة مالك، فقال عمر، لأبي بكر:
ان في سيف خالد رهقا، فعذره أبو بكر فقال أبو بكر:
تأول فأخطأ، ولا أشيم سيفا سله الله على المشركين.
هذا ملخص ما ذكره العسقلاني في الإصابة (١)
واعترف بعمل خالد المنكر انظر إلى هذا التواطئ وتعجب
كيف يقوم خالد بن الوليد بهذه الجريمة النكراء فيقتل
زعيم قوم مسلمين مؤمنين وقومه في ليلة واحدة وهو من

(١) الإصابة ٥: ٧٥٤ - ٧٥٦.

أجلاء الصحابة المستقيمين على الولاء ويزني بزوجته في تلك الليلة ولم يتركها لعدتها وقام بأعمال تندی لها جبين الإنسانية لا في الجاهلية ولا في الاسلام - والأنكى من ذلك ان الخليفة أبا بكر يلتمس له الأعذار الواهية - وتستمر ظلامه هذا الصحابي الجليل الشهيد مالك بن نويرة، ومن ذلك التاريخ إلى يومنا هذا، لمصلحة من؟ ولماذا؟ لأنه استمسك ببيعته في يوم الغدير لأمر المؤمنين علي عليه السلام، وبذلك اعتبروه من الحزب المناوي للانقلابيين، وتبعه الانقلابيون رميما في ظلامته إلى يومنا هذا، ونرى في ذلك ان أصحاب السير والأخبار والتاريخ من أهل السنة المفروض فيهم أن يكونوا محايدين ويذكرون الحقيقة ويكتبون للتاريخ هذا الحدث الخطير تجدهم يتجاهلون ذلك مرة أو يمرون عليه مرور الكرام، أو يتهمون مالك بالردة والعياذ بالله، أو يتهمونه بما هو برئ منه، لماذا؟ لأنه يمس بكرامة أبي بكر، وخالد بن الوليد، قاتل الله التعصب، انا لله وانا إليه راجعون، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

مالك بن نويرة وجريمة خالد بن الوليد:
يوم البطاح... أو يوم مالك بن نويرة وقومه من
خالد بن الوليد، منذ اليوم الأول الذي جلس أبو بكر على
كرسي الخلافة، عين خالد بن الوليد قائدا عاما لجيوش
المسلمين وأعطاه صلاحيات واسعة ما سبقها أحد، فكان
يأمر بما يشاء ويحكم فيها بما يريد، ولم يقتصر يومئذ
على قتل المؤمنين صبورا بل تجاوز ذلك إلى المثلة وجعل
رؤوس القتلى أنفية لقدورهم وسبي المسلمات، وهتك
أعراضهن واستباحة ما حرم الله تعالى من الأموال
والفروج، وتعطيل الحدود الشرعية، في أحداث لا نظير
لها في الجاهلية ولا في الإسلام.
قال العلامة الأميني في غديره (١):
وفي تاريخ الخميس ٢: ٢٣٣ اشتد في ذلك عمر
وقال لأبي بكر: ارجم خالدا فإنه قد استحل ذلك، فقال

(١) الغدير ٧: / ١٦١

أبو بكر: والله لا أفعل ان كان خالد تأول فأخطأ.
وفي شرح المواقف: فأشار عمر على أبي بكر بقتل
خالد قصاصاً، فقال أبو بكر: لا أغمد سيفاً شهره الله على
الكفار، وقال عمر لخالد: لعن وليت الأمر لا قدينك به.
وفي تاريخ ابن عساكر (١) قال عمر: اني ما عتبت
على خالد إلا في تقدمه وما كان يصنع بالمال، وكان خالد
إذا صار إليه شئ قسمه في أهل الغنى ولم يرفع إلى أبي
بكر حسابه، وكان فيه تقدم على أبي بكر يفعل الأشياء
التي لا يراها أبو بكر، وأقدم على قتل مالك بن نويرة
ونكح امرأته وصالح أهل اليمامة ونكح ابنة مجاعة بن
مرار، فكره ذلك أبو بكر، وعرض الدية على متمم بن
نويرة، وأمر خالدًا بطلاق امرأة مالك، ولم ير أن يعزله،
وكان عمر ينكر هذا وشبهه على خالد.
أقول: كيف يرى أبو بكر ان مالك بن نويرة مرتدا
ثم يأمر باطلاق السبي وارجاع الأموال المنهوبة وتطبيق
امرأة مالك - ويخرج ديته من بيت مال المسلمين، ولا

(١) ٥ : ١١٢ .

يقيّد خالداً بذلك الجرم الفظيع. أنا لله وإنا إليه راجعون.
كان جرم مالك بن نويرة تربيته في النزول على
حكم أبي بكر في أمر الزكاة وغيرها، باحثاً عن تكليفه
الشرعي في ذلك، ليقوم على ما شرع الله عز وجل
ورسوله صلى الله عليه وآله وما كان موقفه عن ارتياب ولا عن شق عصا
المسلمين، ولا ابتغاء فتنة ولا إرادة قتال، وإنما كان
الخلاف محتدماً بين السابقين الأولين في أمر الخلافة،
فأهل البيت وأوليائهم متمسكون بولاية علي عليه السلام على
أساس بيعة الغدير، وأبو بكر وعمر وأبو عبيدة وسالم
وأتباعهم على رأي آخر، والأنصار على رأي حتى غلب
نقيبهم سعد بن عباد على أمره فاعتزلهم واعتزل أمرهم.
وفي مستهل خلافة أبي بكر أمر خالد بالزحف
على أسد وغطفان وبعد الفراغ منهم أزمع الزحف والمسير
إلى البطاح، يلقي فيها مالك بن نويرة وقومه، من يربوع،
وكان مالك قد أخلى له البطاح، وفرق قومه، احتياطاً منه
على التمسك بالاسلام في تلك الأيام حتى لا يصطدم
بالحكم الجديد.
فلما عرف الأنصار في جيش خالد عزم خالد على

المسير إلى مالك، توقفوا عن المسير معه وقالوا: " ما هذا بعهد الخليفة إلنا انما عهده ان نحن فرغنا من البراحة واستبرأنا بلاد القوم أن نقيم حتى يكتب إلنا ". فأجابهم خالد: انه ان لم يكن عهد إليكم بهذا فقد عهد إلي ان أمضي وأنا الأمير وإلي تنتهي الأخبار. وهذا مالك بن نويرة بحيانا وانا قاصد له بمن معي (١) ثم سار ومن معه يقصد البطاح، فلما بلغوها لم يجدوا فيها أحدا (٢)، وأرسل خالد سراياه في أثرهم فجاءته بمالك بن نويرة في نفر من بني يربوع فحبسهم، ثم ما كان من أمرهم مما سنأتي على طرف منه بكل حسرة وأسف.

(١) ذكر هذه المحاوره " بألفاظها " بينه وبين من كان في جيشه من الأنصار، كل من هيكل في كتابه " الصديق أبو بكر " : ١٤٣ والتي بعدها، والعقاد في آخر ص ٢٦٧ من " عبقرية عمر " وغيرهما من أهل الأخبار وقد استفاضت بينهم فراجع. (٢) أهل السير والأخبار كافة متفقة على ان خالد حين احتل البطاح بجيشه لم يجد فيها أحدا من أهلها، وان مالك قد فرق قومه من قبل في ديارهم، قائلًا لهم إياكم والمناوة، وناصحًا لهم بالبقاء على الاسلام وان يبقوا متفرقين حتى يلم الله هذا الشعث، فراجع كتاب الصديق: ١٤٤.

وقد روى الطبري بسنده إلى أبي قتادة الأنصاري، وكان من رؤوساء تلك السرايا انه قال: لما غشوا القوم راعوهم تحت الليل، فأخذ القوم السلاح. " قال أبو قتادة " قلنا لهم انا مسلمون، قالوا ونحن مسلمون، قلنا: ما بال السلاح معكم؟ قالوا لنا: فما بال السلاح معكم؟ فقلنا: فإن كنتم كما تقولون فضعوا السلاح. ثم صلينا وصلوا، قلت: " والحديث لأبي قتادة " وبعد الصلاة خفوا قومنا إلى الاستيلاء على أسلحتهم وشد وثاقهم وسوقهم أسرى إلى خالد بن الوليد بأمر منه وفيهم زوجة مالك " ليلي بنت المنهال أم تميم " وكانت كما قال العقاد من أشهر نساء العرب جمالا ففتنت خالد، وقد تجادل في الكلام مع مالك وهي إلى جنبه، فكان مما قاله خالد اني قاتلك، وقال له مالك: أو بذلك أمرك صاحبك؟ " يعني أبا بكر " قال: والله لأقتلك، وكان عبد الله بن عمر، وأبو قتادة الأنصاري إذ ذاك حاضرين، فكلما خالدا في أمره، فكره كلامهما فقال مالك: يا خالد ابعثنا إلى أبي بكر فيكون هو الذي يحكم فينا، فقد بعثت إليه غيرنا ممن

جرمه أكبر من جرمننا، وألح عليه عبد الله بن عمر، وأبو قتادة بأن يبعثهم إلى الخليفة فأبى عليهما ذلك، وقال خالد: لا أقالني الله إن لم أقتله، وتقدم إلى ضرار بن الأزور الأسدي بضرب عنق مالك، فالتفت مالك إلى زوجته، وقال لخالد: هذه التي قتلنتني، فقال له خالد: بل الله قتلك برجوعك عن الإسلام، فقال له مالك: اني على الإسلام، وقد صليت الساعة فقال خالد: يا ضرار اضرب عنقه، فضرب عنقه (١) وقبض خالد على زوجته فبنى بها تلك الليلة، وفي ذلك يقول زهير السعدي:
ألا قل لحي أوطئوا بالسنايك * تطاول هذا الليل من بعد مالك
قضى خالد بغيا عليه لعرسه * وكان له فيها هوى قبل ذلك
فأمضى هواه خالد غير عاطف * عنان الهوى عنها ولا متمالك

(١) وجعل رأسه أنفية لقدر، كما في ترجمة وثيمة بن الفرات من وفيات الأعيان.

وأصبح ذا أهل وأصبح مالك * على غير شئ هالكاً في الهوالك
فمن لليتامى والأرامل بعده؟ * ومن للرجال المعدمين الصعالك؟
أصابت تميم غثها وسمينها * بفارسها المرجو سحب الحوالك
وكان خالد قد أمر بحبس تلك السراة الأسرى من
قوم مالك، فحبسوا والبرد شديد، فنادى مناديتهم في ليلة
مظلمة ان ادفنوا أسراكم، وهي في لغة كنانة، كناية عن
القتل فقتلوهم بأجمعهم، وهذه إشارة متفق عليها بين خالد
وجلاديه ان يقتلوهم عند سماعهم هذا النداء. ولكنها لم
تخف على أبي قتادة وأمثاله، فثار على خالد ورجع إلى
المدينة، يخبر أبا بكر وعمر باقتراف خالد تلك الجريمة
البشعة.

قال هيكل في كتابه " الصديق أبو بكر " (١): ان أبا

(١) ص ١٤٧ وما بعدها.

قتادة الأنصاري غضب لفعلة خالد إذ قتل مالكا وتزوج امرأته، فترك منصرفا إلى المدينة، مقسما أن لا يكون أبدا في جيش ولواء عليه خالد، وان متمم بن نويرة أخا مالك ذهب معه، فلما بلغا المدينة ذهب أبو قتادة ولا يزال الغضب آخذا منه مأخذه، فلقي أبا بكر فقص عليه أمر خالد: قال: لكن أبا بكر كان معجبا بخالد وانتصاراته، ولم يعجبه كلام أبي قتادة وغضبه، بل أنكر منه ذلك. فقد كانت ثورة أبي قتادة على خالد عنيفة كل العنف لذلك ذهب إلى عمر بن الخطاب فقص عليه القصة، وصور له خالد في صورة الرجل الذي يغلب هواه على واجبه، ويستهيئ بأمر الله ارضاء لنفسه. قال أبو قتادة: وأقره عمر على رأيه وشاركه في الطعن على خالد والنيل منه، وذهب عمر إلى أبي بكر وقد أثارته فعلة خالد أيما ثورة، وطلب إليه أن يعزله، وقال ان سيف خالد رهقا (١)

(١) الرهق: السفه، والخفة، وركوب الشر والظلم وغشيان المحارم.

وحق عليه أن يقيده، ولم يكن أبو بكر يقيد من عماله (١)
لذلك حين ألح عمر عليه غير مرة، قال أبو بكر: هبه يا
عمر، تأول فأخطأ فارفع لسانك عن خالد - لا يزال الكلام
لهيكل - ولم يكتف عمر بهذا الجواب، ولم يكف عمر عن
المطالبة بتنفيذ رأيه، فلما ضاق أبو بكر ذرعا بالحاح عمر
قال: لا يا عمر ما كنت لأشيم سيفاً سله الله على
الكافرين. قال هيكل: لكن كان يرى صنيع خالد نكراً فلم
تطب نفسه ولم يسترح ضميره، " كيف إذن يسكت وكيف
يذر خالداً في طمأنينته يشعر كأنه لم يآثم ولم يحن ذنباً "
قال أبو قتادة: لا بد أن يعيد القول على أبي بكر، وان يذكر
له صراحة ان عدو الله عدا على امرئ مسلم فقتله ونزا
على امرأته فليس من الانصاف في شيء أن لا يؤخذ
بصنيعه، قال: ولم يسع أبا بكر إزاء ثورة عمر إلا يستقدم
خالداً ليسأله ما صنع، قال: وأقبل خالد من الميدان إلى

(١) وهذا من اجتهاده مقابل النص، فان الله تعالى يقول: وكتبنا
عليهم ان النفس بالنفس الآية.

المدينة، ودخل المسجد في عدة الحرب مرتديا قباء له،
صداً الحديد، وقد غرز في عمامته أسهما، وقام إليه عمر
إذ رآه يخطو في المسجد، فنزع الأسهم من رأسه وحطمها
وهو يقول: قتلت امرءاً مسلماً ثم نزوت على امرأته، والله
لأرجمنك بالأحجار، قال: وأمسك خالد فلم يعتذر،
ودخل على أبي بكر فقص عليه قصة مالك وتردد، وجعل
يلتمس المعاذير، فعذره أبو بكر وتجاوز عما كان منه في
الحرب، لكنه عنفه على الزواج من امرأة لم يجف دم
زوجها، وكانت العرب تكره النساء في الحرب وترى
الاتصال بهن عارا وأي عار في الجاهلية (١).
قال العلامة السيد شرف الدين في النص
والاجتهاد (٢): الإسلام يحرم نكاح المتوفى عنها زوجها
حتى تعتد فان نكحت وبنى بها النكاح وهي في العدة
حرمت عليه مؤبداً، ولو فرضنا ان خالداً اعتبرها سبية،

(١) هذا ما ذكره هيكل في كتابه "الصديق أبو بكر".

(٢) ص ١٤١.

فالسببية لا يحل وطؤها إلا بعد الاستبراء الشرعي، ولا استبراء هنا وإنما قتل زوجها ووطئها في تلك الحال. قال هيكل: على ان عمر لم يتزحزح عن رأيه فيما صنع خالد من مقتل مالك بن نويرة، وزواجه امرأته وان هذا الرأي له أثره فلما توفي أبو بكر وبويع عمر خليفة له، كان أول ما صنعان أرسل إلى الشام ينعي أبا بكر، وبعث مع البريد الذي حمل النعي رسالة يعزل بها خالدًا عن امارة الجيش، " انتهى كلام هيكل ".
وان من أعجب الأمور وأغربها، ان تذهب في عهد أبي بكر، تلك الدماء، وهتك الأعراض، والأموال هدرًا، وان تستباح تلك الحرمات، وتعطل حدودها الشرعية، حتى لم يعزل خالد عن تلك الامارة، ولم ينقص شئ من صلاحياته الواسعة، واستمر ماضيًا في غلوائه حتى توفي الخليفة فعزله الخليفة الثاني عمر بن الخطاب بمجرد تبوئه الخلافة.
وان رأى أبو بكر في الجنة يوم البطاح، لمن أوائل الآراء المخالفة لنصوص الكتاب والسنة، وقدم رأيه في المصلحة على التعبد بها.

هذا ملخص ما ذكره أصحاب السير والتاريخ مع بعض التبريرات من كتب أهل السنة، كما ذكر ذلك علماء الشيعة ومؤرخوهم، من المصادر التالية:

المصادر

- ١ - الاستيعاب لابن عبد ربه القرطبي ٣ : ٥١
- ٢ - الاعلام للزركلي ٥ : ٣٥٧
- ٣ - أسد الغابة لابن الأثير: ٥٢
- تاريخ ابن عساكر ٥ : ١١٢
- ٥ - تاريخ الطبري - أحداث سنة ١٢ هـ ٣ : ٥٩١
- ٦ - النص والاجتهاد للسيد شرف الدين: ١٣٦
- ٧ - الغدير للعلامة الأميني ٧ : ١٥٨ فما بعده
- ٨ - الإصابة للعسقلاني ٥ : ٧٥٥
- ٩ - الصديق أبو بكر لمحمد حسين هيكل: ١٤٧ فما بعده
- ١٠ - عبقرية خالد للعقاد
- ١١ - خزانة الأدب للبغدادي ١ : ٢٣٦
- ١٢ - بحار الأنوار ٣٠ : ٤٧١

بسم الله الرحمن الرحيم
إن الله مع الذين اتقوا* والذين هم محسنون (١) جابر بن عبد الله الأنصاري
الحواريون
خريجو مدرسة الرسول الأعظم وأمير المؤمنين

(١) النحل: ١٢٨.

جابر بن عبد الله الأنصاري
جابر بن عبد الله الأنصاري السلمي... صحابي من
المكثرين في الرواية عن النبي صلى الله عليه وآله، روى عنه جماعة من
الصحابة.

له ولأبيه صحبة، غزا تسعة عشر غزوة، وكانت له
في أواخر أيامه حلقة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله يؤخذ عنه
العلم، روى البخاري ومسلم وغيرهما ١٥٤٠ حديثاً، وله
مسند.

محمد بن مسعود... عن زرارة عن أبي جعفر الباقر
عليه السلام قال: كان عبد الله أبو جابر من السبعين في العقبة
الثانية، والاثني عشر في العقبة الأولى، وجابر من

السبعين، وليس من الاثني عشر (١).
في الإصابة: يكنى جابر: أبا عبد الله، وأبا عبد
الرحمن، وأبا محمد.
في أسد الغابة: بسنده قال جابر لم أشهد بدرا ولا
أحدا، منعني أبي، فلما استشهد يوم أحد لم أتخلف عن
رسول الله صلى الله عليه وآله في غزوة قبي.
وفي الاستيعاب: وأصح ما قيل فيه أبو عبد الله
- جابر بن عبد الله - شهد العقبة الثانية مع أبيه وهو صغير،
ولم يشهد الأولى، وروى عنه أنه قال لم أشهد بدرا ولا
أحدا منعني أبي (٢).
وروى أبو الزبير عن جابر قال: غزا رسول الله صلى الله عليه وآله
بنفسه إحدى وعشرين غزوة، شهدت منها تسع عشرة
غزوة. وكان من المكثرين الحفاظ للسنن.

(١) السبعون: هم الذين بايعوا النبي صلى الله عليه وآله بيعة العقبة الثانية،
والاثني عشر هم الذين بايعوه صلى الله عليه وآله ليلة العقبة الأولى، وهم
النقباء.
(٢) يروى أنه تركه بالمدينة لرعاية أخواته التسعة.

عدة البرقي: في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن الأصفياء من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، ومن شرطة الخميس، ومن أصحاب الحسين والسجاد والباقر عليهم السلام في حياة أبيه السجاد وكان منقطعا إلى أهل البيت، وشهد مع علي صفيين.

قال الكشي: قال الفضل بن شاذان: إنه من السابقين الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام، وإنه من جملة من لم يردوا بعد مقتل الحسين عليه السلام. حمدويه... عن أبي الزبير المكي، قال: سألت جابر ابن عبد الله فقلت: أخبرني أي رجل كان علي بن أبي طالب؟ قال: فرفع حاجبيه عن عينيه، فقال: ذلك خير البشر، أما والله إنا كنا لنعرف المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ببغضهم إياه. حمدويه وإبراهيم أبناء نصر: عن أبان بن تغلب، قال: حدثني أبو عبد الله عليه السلام، قال: إن جابر بن عبد الله كان آخر من بقي من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان رجلا منقطعا إلينا أهل البيت، وكان يعقد في مسجد رسول الله

صلى الله عليه وآله مجلسا للحديث، وهو معتم بعمامة سوداء، وكان ينادي: يا باقر العلم، يا باقر العلم، وكان أهل المدينة يقولون جابر يهجر، فكان يقول: لا والله لا أهجر، ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنك ستدرك رجلا من أهل بيتي، اسمه اسمي، وشمائله شمائي، ييقر العلم بقرا، فذاك الذي دعاني إلى ما أقول.

عن محمد بن مسلم، قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: إن لأبي مناقب، ما هن لأبائي، إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لجابر بن عبد الله الأنصاري: إنك تدرك محمد بن علي فاقراه مني السلام، قال: فأتى جابر منزل علي بن الحسين عليهما السلام فطلب محمد بن علي فقال له علي عليه السلام: هو في الكتاب ارسل لك إليه؟ قال: لا، ولكني أذهب إليه، فذهب في طلبه، قال للمعلم: أين محمد بن علي أقال: هو في تلك الرفقة ارسل لك إليه؟ قال: لا، ولكني أذهب إليه، قال: فجاء فالتزمه وقبل رأسه وقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله أرسلني إليك برسالة أن أقرئك السلام، قال: عليه وعليك السلام. ثم قال له جابر: بأبي أنت وأمي اضمن لي أنت الشفاعة يوم القيامة. قال عليه السلام: قد فعلت ذلك يا جابر.

وفي رجال الكشي: قال: فكان جابر يأتيه طرفي النهار، فكان أهل المدينة يقولون: وا عجباً لجابر، يأتي هذا الغلام طرفي النهار، وهو آخر من بقي من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله.

عن محمد بن مسلم، عن زرارة، قالاً: سألتنا أبا جعفر الباقر عليه السلام عن أحاديث، فرواها عن جابر، فقلنا: ما لنا ولجابر؟ فقال: بلغ من إيمان جابر أنه كان يقرأ هذه الآية إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد ويعلم تأويلها.

محمد بن مسعود، قال: حدثني... عن أبي الزبير، قال: رأيت جابراً يتوكأ على عصاه وهو يدور في سلك المدينة، وفي مجالسهم وهو يقول: "علي خير البشر فمن أبي فقد كفر، يا معاشر الأنصار، أدبوا أولادكم على حب علي عليه السلام، فمن أبي فلينظر في شأن أمه".
في معجم رجال الحديث: وقع بعنوان جابر بن عبد الله الأنصاري في أسناده عدة من الروايات تبلغ سبعة عشر مورداً.

فقد روى فيها عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وعلي وفاطمة عليهما السلام.

وروى عنه أبو حمزة الثمالي، وأبو الزبير، وجابر

ابن يزيد، وتقدمت رواياته بعنوان جابر أيضا.

ثم إنه روى الشيخ بسنده، عن أبي الصباح مولى

بسام عن جابر، عن أبي عبد الله عليه السلام في التهذيب.

ورواها الكليني في الكافي، الجزء الخامس من

كتاب المعيشة، باب النوادر، وفيه: أبو مصباح مولى

آل سام عن جابر كما هو في نسخة أخرى الصباح مولى

بسام، كما في التهذيب.

وفي المستدرک للحاكم بسنده عن محمد بن عمر

(الواقدي) قال: شهد جابر بن عبد الله العقبة في السبعين

من الأنصار الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وآله عندها وكان من

أصغرهم يومئذ، وأراد شهود بدر فخلفه أبوه على أخواته

وكن تسعا، وخلفه أيضا حين خرج إلى أحد وشهد ما بعد

ذلك من المشاهد.

في أسد الغابة: قال الكلبي: شهد جابر أحدا،

وقيل: شهد مع النبي صلى الله عليه وآله ثماني عشرة غزوة، وشهد صفين

مع علي بن أبي طالب عليه السلام، وعمى في آخر عمره، وكان يحفي شاربه، وكان يخضب بالصفرة، وهو آخر من مات في المدينة ممن شهد العقبة، وكان من المكثرين في الحديث، الحافظين للسنن.

وفيه أيضا: عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ، قيل: إن البراء يقول: اهتز السرير، فقال جابر: كان بين هذين الحيين الأوس والخزرج ضغائن، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: " اهتز عرش الرحمن ". قال ابن الأثير: إن جابرا مع أنه من الخزرج كالبراء حملة دينه على قول الحق والإنكار على البراء الذي كتبه.

وفيه أيضا: عن جابر قال: " استغفر لي رسول الله صلى الله عليه وآله (ليلة البعير) خمسا وعشرين مرة "، يعني بقوله: (ليلة البعير) إنه باع من رسول الله صلى الله عليه وآله بعيرا، واشترط ظهره إلى المدينة (١)، وكان في غزوة لهم، وهذا خلاصة ما

(١) يركب عليه ليوصله إلى المدينة ثم يسلمه لرسول الله صلى الله عليه وآله.

في أسد الغابة.
وروى ابن عساكر في تاريخ دمشق بسنده عن
جابر قال: استغفر لي رسول الله صلى الله عليه وآله خمسا وعشرين
استغفارة كل ذلك أعدها بيدي يقول: أدت عن أبيك دينه
فأقول نعم، فيقول يغفر الله لك. وفي الإصابة: جابر أحد
المكثرين عن النبي صلى الله عليه وآله، روى عنه جماعة من الصحابة،
وله ولأبيه صحبة، وفي الصحيح عنه أنه كان مع من شهد
العقبة.

وفي أصح الأخبار: أن جابر توفي في المدينة سنة
ثمان وسبعين من الهجرة، وكان عمره ٩٤ سنة، حيث ولد
قبل الهجرة ب ١٦ سنة.
وفي الاستيعاب: أمه نسيبة بنت عقبة بن حرام بن
كعب.

عن الواقدي: إن عائشة خرجت من المدينة تتطلع
لأخبار معركة أحد ومعها نسوة من المدينة، فالتقت بهند
بنت عمرو بن حزام تسوق بعيرا لها عليه جثة زوجها
عمرو بن الجموح، وابنها خلاد بن عمرو، وأخوها عبد الله

ابن عمرو بن حزام، أبو جابر بن عبد الله الأنصاري،
فقلت لها عائشة: فما وراءك؟
قالت هند: أما رسول الله صلى الله عليه وآله فهو بخير، وكل
مصيبة بعده جليل، واتخذ الله من المؤمنين شهداء.
فقلت لها عائشة: ومن هؤلاء؟
قالت: أخي، وزوجي، وابني. قالت: وأين
تذهبن بهم؟ قالت: إلى المدينة لأدفنهم فيها.
فبينما هي تسوق بغيرها وإذا به يبرك بهم، فلما
زجرته وقف فوجهته إلى المدينة فعاد وبرك، فرجعت به
إلى أحد فأسرع وكأنه لم يحمل شيئاً، فرجعت إلى النبي
صلى الله عليه وآله وكان لا يزال في أحد وأخبرته بما جرى، فقال: إنه
مأمور، قال صلى الله عليه وآله: هل قال زوجك عندما خرج شيئاً؟
قالت: نعم، إنه لما خرج إلى أحد استقبل القبلة ثم
قال: اللهم لا تردني إلى أهلي، فاستجاب الله دعاءه، ثم
دفنهم رسول الله صلى الله عليه وآله بيده في الموقع مع الشهداء.
وقال الواقدي: إن النساء اللواتي شهدت أحداً:
نسيبة بنت كعب أم عمارة، وكانت قد شهدت مع زوجها

غزية ابنها عمارة بن غزية، وولدها أيضا عبد الله بن زيد، وقد خرجت ومعها شن لها في أول النهار تريد أن تسقي الجرحى، فقاتلت يومئذ وأبلى بلاء حسنا، وجرحت اثني عشر جرحا بين طعن برمح وضربة بسيف. وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لمقام نسيبة بنت كعب أم عمارة اليوم خير من مقام فلان وفلان. وكان صلى الله عليه وآله يراها تقاتل يومئذ أشد القتال، وإنها لحاجزة ثوبها على وسطها حتى جرحت ثلاثة عشر جرحا.

ومن هذه النماذج الباسلة الرائعة كثير في أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله من الرجال والنساء. وفي رواية قال عمارة: لقد رميت رجلا من المشركين بحجر وهو على فرسه، فأصاب الحجر عين الفرس فاضطرب حتى وقع هو وصاحبه، وجعلت أعلاه بالحجارة، والنبى صلى الله عليه وآله ينظر ويتبسم حتى قضيت عليه فنظر صلى الله عليه وآله إلى جراح أمي على عاتقها، فقال: أمك أمك أعصب جرحها، بارك الله فيكم من أهل بيت، لمقام أمك خير من مقام فلان وفلان.

يقول المؤلف: من الواضح أن النبي صلى الله عليه وآله سمي أولئك بأسمائهم صراحة ولم يكنهم، ولكن عندما تمس القضية أسماء أولئك الصحابة المقدسة عند بعض المسلمين، وفرض السياسة الزمنية، اكتفى أهل السير، والمؤرخون بالتلميح، والعامل تكفيه الإشارة، فرب تلميح أبلغ من التصريح (١).
أقوال العلماء فيه:

أعيان الشيعة: كان جابر من أجلاء المفسرين كما عن أبي الخير في طبقات المفسرين والسيوطي، وشهد صفين مع علي عليه السلام، وكان منقطعاً إلى أهل البيت كما يأتي، وعده ابن عبد البر في الاستيعاب ممن فضل علياً على غيره، ونص على تشييعه ابن شاذان وابن عقدة والكشي، هو أول زائر الحسين عليه السلام. وذكره الشيخ في رجاله في أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله فقال: جابر بن عبد الله بن حزام، نزل المدينة شهد بدرًا وثمانية عشرة غزوة مع النبي صلى الله عليه وآله، مات سنة ٧٨

(١) موسوعة المصطفى والعترة (للمؤلف)، المجلد الأول: ٢٣٧.

من الهجرة. وذكره في أصحاب علي عليه السلام فقال: جابر بن عبد الله الأنصاري المدني العربي الخزرجي. وذكره في أصحاب الحسن والحسين عليهما السلام فقال: جابر بن عبد الله الأنصاري. وذكره في أصحاب علي بن الحسين عليه السلام فقال: جابر بن عبد الله بن حرام الأنصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله، وذكره في أصحاب الباقر عليه السلام فقال: جابر ابن عبد الله بن حزام أبو عبد الله (١).
عن علي بن الحكم عن فضيل بن عثمان عن أبي الزبير قال: رأيت جابرا يتوكأ على عصاه وهو يدور في سكك المدينة ومجالسهم ويقول: "علي خير البشر فمن أبي فقد كفر، معاشر الأنصار أدبوا أولادكم على حب علي، فمن أبي فلينظر في شأن أمه".
وفي مجالس المؤمنين نقلا عن أفضل المحققين الخواجة نصير الدين محمد الحسن الطوسي في رسالته المسماة أوصاف الأشراف ما تعريبه: أن جابر بن عبد الله لما ابتلي في آخر عمره بالضعف والكبر ذهب الإمام

(١) أعيان الشيعة ٤ : ٤٧ .

محمد الباقر عليه السلام إلى زيارته وسأله عن حاله فقال: أنا في حال الكبر أحب إلي من الشباب، والمرض أحب إلي من الصحة، والموت أحب إلي من الحياة، فقال الباقر عليه السلام: أما أنا فأحب إلي الحالة التي يختارها الله لي من الشباب والكبر والمرض والعافية والحياة والموت. فلما سمع جابر ذلك أخذ يد الباقر عليه السلام وقبلها وقال: صدق رسول الله صلى الله عليه وآله " الخبير " .

وفي الاستيعاب: شهد العقبة الثانية مع أبيه وهو صغير ولم يشهد الأولى ذكره بعضهم في البدرين ولا يصح لأنه قد روي عنه أنه قال: لم أشهد بدرا ولا أحدا منعني أبي، وذكر البخاري أنه شهد بدرا وكان ينقل لأصحابه الماء يومئذ ثم شهد بعدها مع النبي صلى الله عليه وآله ثمان عشرة غزوة ذكر ذلك الحاكم أبو أحمد. وقال ابن الكلبي: شهد أحدا وشهد صفين مع علي، وروى أبو الزبير عن جابر قال: غزا رسول الله صلى الله عليه وآله بنفسه إحدى وعشرين غزوة شهدت منها معه تسع عشرة غزوة، وكان من المكثرين الحفاظ للسنن وكف بصره في آخر عمره.

شئ من سيرته:
قال ابن طاووس في كتاب الملهوف: ولما رجعت
نساء الحسين وعياله من الشام وبلغوا إلى العراق قالوا
للدليل: مر بنا على طريق كربلاء فوصلوا إلى موضع
المصرع، فوجدوا جابرا بن عبد الله الأنصاري وجماعة
من بني هاشم ورجالا من آل الرسول قد وردوا لزيارة قبر
الحسين عليه السلام فوافوا في وقت واحد وتلاقوا بالبكاء
والحزن واللطم، وأقاموا المآتم المقرحة للأكياد واجتمع
عليهم نساء ذلك السواد وأقاموا على ذلك أياما.
وعن كتاب بشارة المصطفى وغيره بسنده عن
الأعمش عن عطية العوفي قال: خرجت مع جابر بن عبد
الله الأنصاري رضى الله عنه زائرا قبر الحسين عليه السلام، فلما وردنا
كربلاء دنا جابر من شاطئ الفرات فاغتسل ثم ائترز بإزار
وارتدى بآخر ثم فتح صرة فيها سعد فنثرها على بدنه ثم
لم يخط خطوة إلا ذكر الله تعالى حتى إذا دنا من القبر
قال: ألم سنيه إياه، فخر على القبر مغشيا عليه، فرششت
عليه شيئا من الماء، فلما أفاق قال: يا حسين - ثلاثا -

ثم قال: حبيب لا يجيب حبيبه، ثم قال: أنى لك بالجواب
وقد شخبت أوداجك على أثجاجك وفرق بين بدنك
ورأسك، أشهد أنك ابن خير النبيين وابن سيد المؤمنين
وابن حليف التقوى وسليل الهدى وخامس أصحاب الكسا
وابن سيد النقا وابن فاطمة سيدة النساء، وما لك لا تكون
هكذا وقد غذتك كف سيد المرسلين وربيت في حجر
المتقين ورضعت من ثدي الإيمان وفطمت بالإسلام،
فطبت حيا وطبت ميتا، غير أن قلوب المؤمنين غير طيبة
بفراقك، ولا شاكة في حياتك، فعليك سلام الله ورضوانه.
وأشهد أنك مضيت على ما مضى عليه أخوك يحيى
ابن زكريا، ثم جال ببصره حول القبر، وقال: السلام
عليكم أيتها الأرواح التي حلت بفناء الحسين عليه السلام
وأناخت برحله، أشهد أنكم أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة
وأمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر وجاهدتم الملحدين
وعبدتم الله حتى أتاكم اليقين، والذي بعث محمدا بالحق
لقد شاركناكم فيما دخلتم فيه. قال عطية: فقلت لجابر:
فكيف ولم نهبط واديا ولم نعل جبلا ولم نضرب بسيف
والقوم قد فرق بين رؤوسهم وأبدانهم، ويتمت أولادهم

وأرملت أزواجهم؟ فقال لي: يا عطية، سمعت حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من أحب قوما حشر معهم، ومن أحب عمل قوما شرك في عملهم، والذي بعث محمدا صلى الله عليه وآله بالحق إن نيتي ونية أصحابي على ما مضى عليه الحسين عليه السلام وأصحابه. قال عطية: فبينما نحن كذلك وإذا بسواد قد طلع من ناحية الشام، فقلت: يا جابر، هذا سواد قد طلع من ناحية الشام. فقال جابر لعبده: انطلق إلى هذا السواد وائتنا بخبره، فإن كانوا من أصحاب عمر بن سعد فارجع إلينا لعلنا نلجأ إلى ملجأ، وإن كان زين العابدين فأنت حر لوجه الله تعالى. قال: فمضى العبد، فما كان بأسرع من أن رجع وهو يقول: يا جابر، قم واستقبل حرم رسول الله، هذا زين العابدين قد جاء بعماته وأخواته، فقام جابر يمشي حافي الأقدام مكشوف الرأس إلى أن دنا من زين العابدين عليه السلام فقال الإمام: أنت جابر، فقال: نعم، يا ابن رسول الله. فقال: يا جابر، ههنا والله قتلت رجالنا وذبحت أطفالنا وسبيت نساؤنا وحرقت خيامنا. وفي تاريخ دمشق لابن عساكر: قدم جابر مصر أيام مسلمة بن مخلد وقال ابن مندة: قدم جابر الشام.

وأخرج ابن عساكر عن جابر أنه قال: انطلقنا من غزوة تبوك فمر بي النبي صلى الله عليه وآله بالليل وجملي قد قام وأنا أحط عنه فقال: من هذا؟ قلت: جابر. قال: ما لك؟ قلت: جملي قد قام وأنا أحط عنه. فقال: أردد عليه متاعك واركبه فدنا منه فمسه فقام بي الجمل فجعلت لا أضبطه في السير ثم قال لي: يا جابر، تبيعني جملك. قلت: نعم. فقال: بك؟ قلت: بدرهم. قال: لا يكون جمل بدرهم. قلت: بدرهمين. فقال: لا أخذه منك إلا بأربعين درهما، وحملناك عليه في سبيل الله. ثم قال: يا جابر، يوشك أن تأتي المدينة فتنام على فراشك. فقلت: يا رسول الله، لا والذي بعثك بالحق ما لنا فراش ننام عليه إلا أن أرضنا رملة فنرشها بالماء فننام عليها.

وقال ابن الأثير في حوادث سنة ٤٠: في هذه السنة بعث معاوية بسر بن أبي أرطاة في ثلاثة آلاف فسار حتى قدم المدينة إلى أم قال: فأرسل إلى بني سلمة فقال: والله ما لكم عندي أمان حتى تأتوني بجابر بن عبد الله، فانطلق جابر إلى أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله فقال لها: ماذا ترين؟ إن هذه بيعة ضلالة، وقد خشيت أن اقتل. قالت:

أرى أن تبايع، فأتاه جابر فبايعه.
وفي تاريخ اليعقوبي: أنه قال لام سلمة: إني
خشيت أن اقتل وهذه بيعة ضلالة، فقالت: إذا فبايع، فإن
التقية حملت أصحاب الكهف على أن كانوا يلبسون
الصليب ويحضرون الأعياد مع قومهم.
وفي شرح النهج لابن أبي الحديد عن إبراهيم بن
هلال، قال: روى عوانة عن الكلبي ولوط بن يحيى في
خبر إرسال معاوية بسرا إلى الحجاز واليمن، أن بسرا فقد
جابر بن عبد الله فقال: مالي لا أرى جابرا يا بني سلمة،
لا أمان لكم عندي أو تأتوني بجابر، فعاذ جابر بأُم سلمة
فأرسلت إلى بسر بن أرطاة فقال: لا أؤمنه حتى يبايع.
فقالت له أم سلمة: إذهب فبايع، وقالت لابنها عمر: إذهب
فبايع، فذهبا وبايعا. قال إبراهيم: وروى الوليد بن كثير
عن وهب بن كيسان قال: سمعت جابر بن عبد الله
الأنصاري يقول: لما خفت بسرا وتواريت عنه قال
لقومي: لا أمان لكم عندي حتى يحضر جابر، فأتوني
وقالوا: ننشذك الله لما انطلقت معنا فبايعت فحقنت دمك
ودماء قومك، فإنك إن لم تفعل قتلت مقاتلتنا وسبيت

ذرارينا، فاستنظرتهم إلى الليل، فلما أمسيت دخلت
على أم سلمة فأخبرتها الخبر فقالت: يا بني، انطلق فبايع
احقن دمك ودماء قومك، فإنني قد أمرت ابن أخي أن
يذهب فبايع وإنني لأعلم أنها بيعة ضلالة.
وفي مروج الذهب: مات جابر بن عبد الله
الأنصاري في أيام عبد الملك بن مروان سنة ٧٨ هـ وقد
ذهب بصره وهو ابن نيف وتسعين سنة، وقد قدم إلى
معاوية بدمشق فلم يأذن له أياما، فلما أذن له قال: يا
معاوية، أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من حجب ذا
فاقة وحاجة حجبه الله يوم فاقتة وحاجته. فغضب معاوية
وقال: لقد سمعته يقول لكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا
حتى تردوا علي الحوض، أفلا صبرت؟ قال: ذكرتني ما
نسيت وخرج فاستوى على راحلته ومضى، فوجه إليه
معاوية ستمائة دينار فردها وكتب إليه:
إنني لأختار القنوع على الغنى* وفي الناس من يقضى عليه ولا يقضي
وألبس أثواب الحياء وقد أرى* مكان الغنى أن لا أهين له عرضي

وقال لرسوله: قل له: والله يا ابن آكلة الأكباد لا
وجد في صحيفتك حسنة أنا سببها أبدا.
هذا موجز ما وجدنا من سيرة هذا الصحابي الجليل
في السير والتواريخ.
فسلام عليه يوم ولد، ويوم أسلم وآمن وجاهد،
ويوم مات، ويوم بيعت حيا.

المصادر

- ١ - أسد الغابة ١: ٢٥٦
- ٢ - الاستيعاب ١: ٢٢١
- ٣ - الأعلام ٢: ١٠٤ - معجم رجال الحديث ٤: ٣٣٠، ت ٢٠٢٦
- ٥ - رجال الكشي: ٤٠
- ٦ - أعيان الشيعة ٤: ٤٥ - ٤٨
- ٧ - الإصابة ١: ٢١٣
- ٨ - موسوعة المصطفى والعترة (للمؤلف) ١: ٢٣٧

بسم الله الرحمن الرحيم
إن الله مع الذين اتقوا* والذين هم محسنون (١)
حذيفة بن اليمان
الحواريون
خريجو مدرسة الرسول الأعظم وأمير المؤمنين
صلوات الله عليهم أجمعين

(١) النحل: ١٢٨.

حذيفة بن اليمان
حذيفة بن حسيل بن جابر العبسي - أبو عبد الله -
واليمان: لقب حسيل بن جابر، إنما لقب بذلك لحصول فتن
وحروب في قومه باليمن، فهرب إلى يثرب في الجاهلية
وحالف بني عبد الأشهل (الأوس) فسماه قومه باليماني.
صحابي جليل من الولاة الشجعان الفاتحين.
كان صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وآله في المنافقين، لم
يعلمهم أحد غيره، ولاه عمر على المدائن وكتب في عهده
" اسمعوا له وأطيعوه وأعطوه ما سألكم " وأقام بينهم
وأصلح شأنهم وغزا (نهاوند) سنة ٢٢ هـ، وغزا بعض
البلدان حتى وصل إلى همدان والري في فارس وافتتحها

عنوة، ثم عاد إلى المدائن وتوفي فيها سنة ٣٦ من الهجرة
الشريفة ٦٥٦ م.

(حذيفة بن اليمان) رجل جاء إلى الحياة مزودا
بفراصة فريدة، تتسم بمعرفة الناس، وبالقدرة الخارقة على
رؤية مكامن النفوس البعيدة الغور، علمه رسول الله صلى الله عليه وآله
على معرفة المنافقين وأخبره بهم.
ومنذ أن تشرف هو وأخوه صفوان بصحبة أبيهما
للمثول بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله لمبايعته واعتناقهم
الإسلام، فلقد وجد حذيفة نفسه أمام حقائق مثالية، طالما
كان يبحث عنها، دينا قويا واضح المعالم، شجاعا، قويا،
يحتقر الجبن، ويزدري النفاق، ويمقت المتلونين والمرائين
والمخادعين، فخيره النبي صلى الله عليه وآله بين الهجرة والنصرة، فاختار
النصرة، وشهد مع النبي صلى الله عليه وآله وأهله وأحدا، وقتل أبوه بها، قتله
المسلمون ظنا منهم أنه من المشركين، كما قتل أخوه
صفوان.

ولقد نمت موهبته في نفسه بفضل ما أسره به رسول
الله صلى الله عليه وآله وعلمه، أعظم علم، وتخصص في قراءة الوجود

والسرائر، يقرأ الوجوه في نظره، ويعرف كنه الأعماق
المستترة، والدخائل المخبوءة في نفوس الآخرين.
ولقد أوتي حذيفة من الحصافة ما جعله يدرك أن
الخير في هذه الحياة واضح لمن يريد، والشر هو الذي
يتنكر ويختفي، ويجب على الأريب أن يعنى بدراسة الشر
في مظانه، ليأخذ الحذر منه.
وهكذا عكف (حذيفة) على دراسة الشر والأشرار،
والنفاق والمنافقين، الذين يظهرون الإسلام ويضمرون
الكفر.
هذا هو (حذيفة) عدو النفاق والمكر، وصديق
الصدق والوضوح.
ورجل من هذا الطراز، لا يكون إيمانه مستعاراً بل
هو ثابت الركائز، ووثيقاً، ولا يكون ولاءه إلا عميقاً،
وكذلك كان (حذيفة) في إيمانه وولائه.
وخبرة (حذيفة) بأهل الشر، وإصراره على مقاومته
وتحديه أكسبها لساناً ذليلاً، وفصاحة واضحة، وحدة في
كلماته، يقول حذيفة:

كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وآله عن الخير وأهله،
و كنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني.

قلت: يا رسول الله، إنا كنا في الجاهلية في شر،
فجاءنا الله بهذا الخير... فهل بعد هذا الخير من شر؟
قال: نعم.

قلت: فهل بعد هذا الشر من خير؟

قال: نعم، وفيه دخن.

قلت: وما دخنه؟

قال: قوم يستنون بغير سنتي. ويهتدون بغير هداي،
تعرف منهم وتنكر.

قلت: وهل بعد ذلك الخير من شر؟

قال: نعم، دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها
قذفوه فيها.

قلت: يا رسول الله، فما تأمرني إن أدركني ذلك؟

قال: تلتزم جماعة المسلمين وإمامهم.

قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟

قال: تعزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض على
أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك؟

لقد عاش (حذيفة بن اليمان) مفتوح البصر والبصيرة على مآتي الفتن، ومسالك الشر، ليتقيها، ويحذر الناس منها، ولقد أفاء عليه هذا، بصيرة وخبرة بالناس ومعرفة بحوادث الزمن، بعقله وفكره بأسلوب فلسفي وحصافة حكيم. فكان يقول رضى الله عنه:

إن الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وآله، فأخرج الناس من الضلالة إلى الهدى، ومن الكفر إلى الإيمان، فاستجاب له من استجاب فحيا بالحق من كان ميتا... ومات بالباطل من كان حيا.

فمن الناس من ينكر ذلك بقلبه ولسانه ويده، أولئك الذين استجابوا للحق.

ومنهم من ينكر ذلك بقلبه ولسانه، فهو قد ترك شعبة من الحق والإيمان.

ومنهم من ينكر ذلك قلبه، لا بيده ولا بلسانه، فقد ترك شعبتين من الإيمان والحق.

ومنهم من لا ينكر بقلبه ولا بلسانه ولا بيده، فذلك ميت الأحياء!

ثم يتحدث (حذيفة) رضوان الله عليه، عن القلوب

وعن حياتها بالهدى، أو الضلال فيها، فيقول:
القلوب أربعة:

قلب أغلف، فذلك قلب الكافر.

وقلب مصفح، فذلك قلب المنافق.

وقلب أجرد، فيه سراج يزهر، فذلك قلب المؤمن.

وقلب فيه نفاق وإيمان، فمثل الإيمان كشجرة يمدّها

ماء طيب، ومثل النفاق القرحة يمدّها قيح ودم.

فأيهما غلب فقد غلب.

وغزا المشركون المدينة المنورة، فاستعد المسلمون

لصدهم في سفوح جبل أحد، وكان الانتصار الساحق حليف

المسلمين في بادئ الأمر، غير أن قسما من الرماة الذين

عينهم الرسول صلى الله عليه وآله على فتحة الجبل خالفوا أوامره صلى الله عليه وآله،

فنزّلوا للسلب وتركوا الثغرة مفتوحة للعدو، فانتهز

المشركون الفرصة وهجموا بقيادة خالد بن الوليد من فتحة

الجبل، وكر المشركون المنهزمون على المسلمين فصاروا

بين طابقين من نار المشركين، واختلط الحابل بالنابل،

وصار كل يقتل الآخر بدون هدى ولا رؤية، وبينما كان

حذيفة يصول ويحول في الميدان إذ أبصر أباه يصرع بأيدي

المسلمين قتلوه خطأ وهم يحسبونه واحدا من المشركين،
فصاح في ضاربييه: أبي، إنه أبي، لكن القضاء أسرع
منه، ففضى حسيل شهيدا، وحين علم المسلمون ذلك
تولاهم الحزن والوجوم، ولكن ساحة المعركة كانت أشد
وأسرع من الوجوم، فانطلق حذيفة والمسلمون صوب
المعركة المشبوبة ليبلي فيها، ويؤدي واجبه.
وتنتهي المعركة، ويبلغ رسول الله صلى الله عليه وآله بالأمر، فيأمر
صلى الله عليه وآله أن تخرج الدية عن والد حذيفة (حسيل بن جابر)
فيعتذر ابنه حذيفة عنها، ويتصدق بها على المسلمين،
فيزداد الرسول صلى الله عليه وآله حبا وتقديرا له!
ورجع المسلمون بعد انتهاء المعركة إلى المدينة
المنورة بعد دفن قتلاهم يللمون شتاتهم ويداؤون
جرحاهم، ويصلحون أمورهم.
وجاءت غزوة الأحزاب، وحفر المسلمون الخندق
حول المدينة، واستمر حصار المشركين للمدينة شهرا،
وعبر بعض المشركين الخندق بخيلهم وفي مقدمته عمرو
ابن عبد ود العامري فارس يلبل وهو يعد بألف فارس.
وجبن المسلمون من لقائه على الرغم من نداء الرسول صلى الله عليه وآله

لمبارزته، وأخيراً برز الإمام علي عليه السلام إليه، وبعد جولات صعبة، قتله الإمام شر قتلة وابنه معه وفر الباقيون وكبر المسلمون بانتصار علي وضربته التي تعادل أعمال الثقلين وهروب الباقيين حتى الذي سقي في الخندق من المشركين الفارين نزل إليه الإمام علي فقتله.

واستمرت الحرب الباردة بين المسلمين والأحزاب بين الشدة والرخاء، حتى يئس المشركون من اقتحام المدينة المنورة ودب الخلاف بينهم بعد انهيار معنوياتهم. أراد الرسول صلى الله عليه وآله أن يقف على جلية أمرهم وآخر تطورات الموقف، ولم يجرأ أحد ليقترب من معسكرهم، عند ذلك انتدب الرسول صلى الله عليه وآله (حذيفة بن اليمان) لما وجدته أهلاً لهذه المهمة الشاقة والصعبة.

كان الليل مظلماً رهيباً، وكانت العواصف شديدة، كأنما تريد أن تقتلع الجبال الرواسي، والأشجار من جذورها، وكان الموقف بما فيه من حصار وعناد وإصرار، يبعث على الرهبة والخوف والجزع، بالإضافة إلى الجوع والبرد الذي بلغ مبلغه.

فمن يملك آنذاك تلك القوة والشجاعة ليتسلل إلى

معسكر الأعداء ويقتحمه، ويستطلع أمرهم ويعرف أخبارهم؟

إن الرسول صلى الله عليه وآله حينما اختار (حذيفة بن اليمان) يراه جديرا بهذه المهمة، وأهلا لها، فأمره صلى الله عليه وآله أن يقوم بهذه المهمة، فامتثل حذيفة لأمر الرسول صلى الله عليه وآله وتسلل وحده في الظلام الدامس وقطع المسافة بين المعسكرين بعد أن عبر الخندق، واخترق الحصار، وكانت الريح العاتية قد أطفأت نيران المعسكر، فخيم عليهم الظلام، حتى وصل فسطاط أبي سفيان وراه جالسا بين أولاده وبعض زعماء قريش، محيطين به.

خشى أبو سفيان قائد عسكر قريش أن يفاجئهم الظلام بمتسللين من المسلمين، فقام يحذر جيشه، وسمعه حذيفة يقول بصوته المرتفع:

" يا معشر قريش، لينظر كل منكم جليسه، وليأخذ بيده، وليعرف اسمه "

يقول حذيفة: فسارعت إلى يد الرجل الذي بجواري، وقلت له:

من أنت؟ فقال: فلان ابن فلان. وهكذا أمن وجوده بين الجيش.
واستأنف أبو سفيان نداءه إلى الجيش قائلاً: يا
معشر قريش، إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام، لقد هلك
الكراع - أي الخيل - والخف - أ - الإبل - وأخلفتنا بنو
قريظة، وبلغنا عنهم الذي نكره، ولقينا من شدة الريح ما
ترون، ما تطمئن لنا قدور ولا تقوم لنا نار، ولا يستمسك لنا
بناء، فارتحلوا فإني راحل. ثم نهض فوق جملة، وبدأ
المسير، فتبعه المحاربون.

يقول حذيفة: " لولا عهد رسول الله صلى الله عليه وآله إلي ألا
أحدث شيئاً حتى تأتيني، لقتلته بسهم ".
وعاد حذيفة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبره الخبر، وزف
البشرى إليه، وما أن أصبح الصباح حتى غادر المشركون
المكان خائبين خاسرين، وكفى الله المؤمنين شر القتال.
وحينما علم الرسول صلى الله عليه وآله بزحف ملك الروم بجيشه
لغزو المسلمين لم يتردد لحظة واحدة في مواجهة تلك
الحشود التي أعدتها الروم. وقرر أن يكون على رأس
جيش قوي لصد الغزاة، والقضاء على كل أمل يراودهم،

وأرسل صلى الله عليه وآله إلى القبائل العربية المتاخمة يعلمهم بما عزم عليه، ويدعوهم للاستعداد.
ولما انتهى المسلمون إلى تبوك، علموا أن الروم لما سمعوا بزحف المسلمين والعرب، انسحبوا منها إلى داخل بلادهم، ونزل المسلمون بتبوك ينازلون من يحاول أن يقف بطريقهم، وغنموا غنائم كبيرة.
ولما رجع رسول الله صلى الله عليه وآله قافلاً من تبوك إلى المدينة مع أصحابه وجيشه، مكر به جماعة من المهاجرين والأنصار، وكانوا مع النبي صلى الله عليه وآله في تبوك وهم اثنا عشر رجلاً، وقد تعاهدوا فيما بينهم وتعاهدوا على اغتيال النبي صلى الله عليه وآله وهو راجع من تبوك، وقال بعضهم لبعض: إذا لم نقدر عليه وسألنا بماذا كنتم؟ نقول له: كنا نخوض ونلعب، كما جاء في الآية: ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون (١).
وأخبر النبي صلى الله عليه وآله خبرهم، فقال صلى الله عليه وآله لأصحابه: من شاء منكم أن يأخذ بطن الوادي فإنه أوسع له.

(١) التوبة: ٦٥.

فأخذ النبي طريق العقبة، وأخذ الناس بطن الوادي،
إلا النفر الذين أرادوا المكر به فتبعوه بعد أن استعدوا
وتلثموا، وأمر رسول الله صلى الله عليه وآله حذيفة بن اليمان وعمار بن
ياسر، فمشيا معه مشيا، وأمر عمار أن يأخذ بزمام الناقة،
وحذيفة يسوقها.

فبينما هم يسيرون إذ سمعوا وكزة القوم من ورائهم
وقد غشوههم، فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وأمر حذيفة أن يراهم
ويتعرف عليهم، فرجع ومعه محجن استقبال وجوه
رواحلهم وضربها بالمحجن، وأبصر القوم ملثمين فأرعبوا
حين أبصروا حذيفة وظنوا أن مكرهم قد ظهر فأسرعوا
حتى خالطوا الناس.

وأقبل حذيفة حتى أدرك رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال صلى الله عليه وآله:
اضرب الناقة يا حذيفة، وامش أنت يا عمار، فأسرعوا
وخرجوا من العقبة ينتظرون الناس، فقال النبي صلى الله عليه وآله: يا
حذيفة، هل عرفت أحدا منهم؟ فقال: عرفت راحلة فلان
وفلان، وكانت ظلمة الليل قد غشيتهم وهم ملثمون.
فقال صلى الله عليه وآله: هل تعرف ما شأنهم وما يريدون؟ قال:
لا يا رسول الله. قال: إنهم فكروا أن يسيروا معي حتى إذا

صرت في العقبة طر حوني فيها - أي في الوادي السحيق -
فقال حذيفة: هلا ترأف بهم إذا جاءك الناس؟ قال: أكره
أن يتحدث الناس ويقولوا: إن محمدا قتل أصحابه، ثم
سماهم بأسمائهم (١).

وذكر اليعقوبي قصة المؤامرة في تأريخه مجملة،
وقال: إن حذيفة كان يقول: إنه يعرفهم بأسمائهم.
وكان حذيفة صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وآله في
المنافقين، كما أسلفنا.

ولما تسنم عمر بن الخطاب منصة الخلافة، سأل
حذيفة هل في عمالي أحد من المنافقين؟ فقال: نعم،
واحد. قال: من هو؟ قال: لا أذكره، وأسرها في نفسه!
فكان عمر إذا مات ميت يسأل عن حذيفة، فإن

(١) من المعلوم والواضح من سير الحوادث أن المسألة إذا كانت
تتعلق بكبار الصحابة، فلا ترد أسماؤهم صريحة فيها، ويأتي
التعبير ب (فلان وفلان)، وكل مورد من هذا القبيل فهو يعني
جماعة يخاف الراوي من التصريح بأسمائهم. أما إذا لم يكن
الحادث مع الكبار من الصحابة فيأتي الاسم صريحا، كما يبدو
ذلك للمتتبع، كما حدث في غزوة أحد.

حضر الصلاة عليه، صلى عمر عليه، وإلا لم يصل عليه.
وولاه عمر على المدائن بفارس، وكانت عادته إذا
استعمل عاملاً كتب في عهده: " وقد بعثت فلانا وأمرته
بكذا"، فلما أرسل حذيفة واليا على المدائن، كتب في
عهده: " اسمعوا له وأطيعوه وأعطوه ما سألكم"، فلما قدم
المدائن استقبله الدهاقون والأهالي، فقرأ عهده، فقالوا:
سلنا ما شئت، فطلب ما يكفيه من القوت وعلف دابته،
فأقام بينهم وأصلح بلادهم.
وسار (حذيفة) بينهم، والناس محتشدون حوله،
وحافون به.

وحين رأهم كأنهم ينتظرون منه حديثاً، قال:

" إياكم ومواقف الفتن!"

قالوا: وما مواقف الفتن يا أبا عبد الله؟

قال: " أبواب الامراء، يدخل أحدكم على الأمير أو

الوالي، فيصدقه بالكذب، ويمدحه بما ليس فيه."

وكان استهلالاً بارعاً في حديثه، بقدر ما هو عجيب!

واستعاد الناس من فورهم ما سمعوه عن واليهم

الجديد، حيث كان يمقت الدنيا بأسرها، ويمقت النفاق

ويحتقره. وكان هذا الاستهلال أصدق تعبير عن شخصية الحاكم الجديد، ومنهجه القويم في الحكم. غزا نهاوند سنة ٢٢ هـ، ثم غزا الدينور، وماه سندان، فافتتحها عنوة، ثم غزا همدان، والري، فافتتحها عنوة. ثم عاد إلى المدائن بعد ذلك وبقي فيها حتى لبي نداء ربه فيها، وقبره شاخص معلوم لليوم، وكانت وفاته سنة ٣٦ هـ بعد مقتل عثمان بن عفان بأربعين يوماً، وبداية خلافة علي بن أبي طالب عليه السلام. ولما حضره الموت قال: هذه آخر ساعة من الدنيا، اللهم إنك تعلم إنني أحبك، فبارك لي في لقاءك، ثم مات. لما استخلف عثمان بن عفان عزل حذيفة بن اليمان من ولاية المدائن وعين ابن عمه الحارث بن الحكم أخ مروان، فأقام فيها مدة يتعسف في حكم أهلها ويسئ معاملتهم، فوفد وفدهم إلى عثمان وقد شكوا إليه سوء معاملة الحارث، وأغلظوا عليه في القول: فولى عليهم حذيفة بن اليمان ثانية، في آخر أيامه، ومكث فيها إلى أن قتل عثمان، واستخلف علي بن أبي طالب عليه السلام فأقر حذيفة عليها وكتب إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم
من عبد الله أمير المؤمنين - إلى حذيفة بن اليمان،
سلام عليك، فإني قد وليتك ما كنت تليه لمن كان قبل، من
جرف المدائن، وقد جعلت إليك أعمال الخراج والريستاق،
وجباية أهل الذمة، فاجمع إليك ثقاتك ومن أحببت ممن
ترضى دينه وأمانته، واستعن بهم على أعمالك - إلى آخر
تعليماته وأوامره.

فلما وصل عهد أمير المؤمنين عليه السلام إلى حذيفة جمع
الناس وصلى بهم ثم أمر بالكتاب فقرأ عليهم وهو:
بسم الله الرحمن الرحيم.

من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى من بلغه كتابي
هذا من المسلمين، سلام عليكم، فإني أحمد الله إليكم
الذي لا إله إلا هو، وأسأله أن يصلي على محمد وآله، أما
بعد... إلى أن قال: وقد وليت أموركم (حذيفة بن اليمان)،
وهو ممن أرتضي بهديه، وأرجو صلاحه، وقد أمرته
بالإحسان إلى محسنكم، والشدة على مريبكم، والرفق
بجميعكم، أسأل الله لنا ولكم حسن الخيرة والإحسان
ورحمته الواسعة في الدنيا والآخرة، والسلام عليكم

ورحمة الله وبركاته.
فكبر الناس جميعا وقاموا بالبيعة للإمام علي علي
يد حذيفة.

ثم صعد حذيفة المنبر فحمد الله وأثنى عليه، وصلى
على النبي وآله، وخطب خطبته البليغة، ذكرناها مفصلة في
المجلد الثالث من موسوعة المصطفى والعترة، الصفحة
١٩٨، فراجع.

ابن مسعود... عن أبي الحسن الرضا عليه السلام، ذكر أن
حذيفة لما حضرته الوفاة وكان آخر الليل، قال لابنته: أية
ساعة هذه؟ قالت: آخر الليل. قال: الحمد لله الذي بلغني
هذا المبلغ ولم أوال ظالما على صاحب الحق، ولم أعاد
صاحب حق.

وكان (حذيفة) ثالث ثلاثة، أو خامس خمسة الذين
لهم السبق في فتوح العراق جميعها.
وفي معركة (نهاوند) حيث احتشد الفرس في مائة
وخمسين ألف مقاتل، ولقد اختار (عمر بن الخطاب) لقيادة
جيوشه (النعمان بن مقرن) ثم كتب إلى حذيفة، أن يسير
على رأس جيش من الكوفة.

وأرسل عمر إلى المقاتلين كتابا يقول فيه:
إذا اجتمع المسلمون، فليكن كل أمير على جيشه،
و ليكن أمير الجيوش جميعا (النعمان بن مقرن) فإذا
استشهد النعمان، فليأخذ الراية (حذيفة بن اليمان)، فإذا
استشهد، فجرير بن عبد الله بمكانه، وعين لقيادة جيوشه
سبعة قواد واحدا بعد الآخر.
والتقى الجيشان، الفرس في مائة وخمسين ألفا،
والمسلمون في ثلاثين ألفا.
ونشب القتال، ودارت المعارك في أشدها، وسقط
قائد المسلمين (النعمان بن مقرن) وقبل أن تهوي راية
المسلمين إلى الأرض، تسلمها القائد الجديد بيمينه،
وسابق بها رياح النصر في عنفوان لجب واستبسال قل
نظيره، ولم يكن القائد الجديد سوى (حذيفة بن اليمان)
الذي انثنى كالإعصار المدمر على صفوف الفرس،
صائحا: الله أكبر، الله أكبر، صدق وعده ونصر جنده،
ثم صاع: يا أتباع محمد، ها هي الجنان تنهياً لاستقبالكم، فلا
تطيلوا عليها الانتظار.
هيا يا رجال بدر، تقدموا يا أبطال الخندق، واحد

وتبوك.
لقد احتفظ حذيفة بكل حماس المعركة وأشدّها.
حتى انتهى القتال بالنصر المؤزر وبهزيمة ساحقة
لجيوش الفرس، هزيمة لا نظير لها.
وخلف حذيفة ولدين هما صفوان وسعيد، قتلا في
صفيين مع الإمام علي عليه السلام، وقد كانا بايعا عليا بوصية أبيهما
بذلك إياهما.
سئل حذيفة: ما المنافق؟ قال: الذي يصف الإسلام
ولا يعمل به.
وسئل: أي الفتن أشد؟ قال: أن يعرض عليه الخير
والشر فلا يدري أيهما ترك.
وقال: لا تقوم الساعة حتى يسود كل قبيلة منافقها.
وكان ممن بايع الرسول صلى الله عليه وآله بيعة الرضوان تحت
الشجرة.
فسلام عليه يوم ولد، ويوم أسلم وجاهد، ويوم
مات، ويوم يبعث حيا.
هذا البحث من المصادر التالية مع بعض التصرف في
العبارات دون المساس بالمعنى.

المصادر

- ١ - أسد الغابة، لابن الأثير ١ : ٤٦٨
- ٢ - الاستيعاب، لابن عبد ربه القرطبي ١ : ٢٧٧
- ٣ - معجم رجال الحديث، للسيد الخوئي ٣ : ٢٤٥
- ٤ - الأعلام، للزركلي ٢ : ١٧١
- ٥ - رجال حول الرسول، خالد محمد خالد: ١٩١
- ٦ - ابن عساكر ٤ : ٩٣
- ٧ - تهذيب التهذيب ٢ : ٢١٩
- ٨ - الإصابة، للعسقلاني ١ : ٣١٧
- ٩ - حلية الأولياء ١ : ٢٧٠
- ١٠ - أعيان الشيعة ٤ : ٥٩١
- ١١ - تاريخ الإسلام، للذهبي ٢ : ١٥٢
- ١٢ - صفوة الصفوة ١ : ٢٧٠
- ١٣ - موسوعة المصطفى والعترة، للمؤلف ١ : ٣٤٠ - ٤١٠
- ١٤ - علي في الكتاب والسنة، للمؤلف ٢ : ٣٦٨
- ١٥ - رجال الكشي: ٣٦

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ
إِنَّ اللّٰهَ مَعَ الذِّیْنَ اتَّقَوْا* وَ الذِّیْنَ هُمْ مَحْسَنُونَ (١٩)
أَبُو الْهَیْثَمِ بْنِ التَّیْهَانِ
الْحَوَارِیُونَ
خَرِیجُو مَدْرَسَةِ الرَّسُولِ الْأَعْظَمِ وَأَمِیرِ الْمُؤْمِنِیْنَ
صَلَوَاتُ اللّٰهِ عَلَیْهِمْ أَجْمَعِیْنَ

(١) النحل: ١٢٨.

أبو الهيثم بن التيهان
مالك بن التيهان الأنصاري، لم أعر على ترجمة
مفصلة عن حياته ولا عن تأريخ ولادته ولا مكانها، لذا
أكتفي بنقل ما ذكره رجال التأريخ من علماء السنة في
كتبهم محل الحاجة.
أما في أعيان الشيعة، ومعجم رجال الحديث
فذكره استطرادا موجزا حسب التسلسل التاريخي
لوفياتهم، وهم:
أولا - قال ابن عبد البر القرطبي، المتوفى ٤٦٣ هـ
في استيعابه (١):

(١) الاستيعاب، بهامش الإصابة لابن حجر العسقلاني ٣: ٣٦٨،
طبعة بيروت - دار إحياء التراث العربي.

(مالك) بن التيهان بن مالك بن... الأنصاري،
حليف بني عبد الأشهل، وقالت طائفة من أهل العلم: إنه
أنصاري من أنفسهم من الأوس، وهو مشهور بكنيته، شهد
بيعة العقبة الأولى، والثانية، وكان أحد الستة الذين لقوا
قبل ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله بالعقبة قبل بيعة العقبة الأولى.
وهو أول من بايع رسول الله صلى الله عليه وآله ليلة العقبة
الأولى فيما زعم بنو عبد الأشهل، وأما بنو النجار
فزعموا أن أول من بايعه صلى الله عليه وآله ليلة العقبة أبو امامة أسعد بن
زرارة، وزعم بنو سلمة كعب بن مالك وغيره، إن أول من
بايع تلك الليلة رسول الله صلى الله عليه وآله البراء بن معرور، والله أعلم.
وشهد أبو الهيثم مالك بن التيهان بدرا واحدا
والمشاهد كلها، وتوفي في خلافة عمر بالمدينة سنة
عشرين، وقيل: قتل بصفين مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه،
ومات بعدها بيسير.
وأما عبيد بن التيهان أخوه فقتل بصفين سنة سبع
وثلاثين مع علي عليه السلام.
هذا ملخص ما ذكره ابن عبد البر في استيعابه،

المتوفى سنة ٤٦٣ هـ، والله العالم.
ثانيا - وذكر ابن الأثير (٥٥٥ - ٦٣٠ هـ) في أسد
الغابة (١) قوله:

مالك بن التيهان بن مالك بن... قضاة في بني عبد
الأشهل.

وكان أحد الستة الذين لقوا رسول الله صلى الله عليه وآله أول ما
لقيه الأنصار، وشهد العقبة الأولى والثانية، وهو أول من
بايعه ليلة العقبة، في قول بني الأشهل، وقال: ... آخر ذكر
ما نقلناه سلفا ما نصه في الاستيعاب.

وكان مالك نقيب بني عبد الأشهل هو وأسيد بن
حضير، وشهد بدرا واحدا، والمشاهد كلها مع رسول الله
صلى الله عليه وآله، وتوفي في خلافة عمر سنة إحدى وعشرين، وقيل:
بل قتل بصفين مع علي سنة سبع وثلاثين. وقيل: شهد
صفين مع علي ومات بعدها بيسير.
وهناك رواية ذكرها أبو هريرة، عند لقائه برسول

(١) أسد الغابة ٥: ١٤، ت ٤٥٦٦، دار الشعب.

الله صلى الله عليه وآله مع بعض الصحابة، وجرى بعض الحديث ثم انطلقوا إلى حديقة أبي الهيثم، فبسط لهم بساطا وقدم لهم بعض الرطب والماء.

أعرضنا عن التفصيل روما للاختصار.

ثالثا - وذكر ابن حجر العسقلاني (٧٧٣ - ٨٥٣ هـ)

في الإصابة (١)، قال:

مالك بن التيهان الأنصاري - أبو الهيثم - مشهور

بكنيته، له تفسير ألهاكم التكاثر، من تفسير ابن مردويه،

وفي كتاب ابن السكن وغير واحد ممن صنف في

الصحابة... وفي تسمية من شهد بدرًا من مغازي موسى بن

عقبة. وأبو الهيثم مالك بن التيهان، ومضى نظيره في

ترجمة أخيه عبيد بن التيهان، ونقل اسمه غير ذلك.

رابعا - أبو الهيثم بن التيهان، مالك الأنصاري

الأوسي، ت ٦٤١ ٥٥ ٢٠ م.

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ٥: ٧١٦، ت ٧٦٠٧، طبعة بيروت - دار الجيل.

صحابي جليل، كان أول من أسلم من الأنصار
بمكة، وهو أحد النقباء الاثني عشر، شهد بدرًا واحدًا
والمشاهد كلها.
كان يكره الأصنام في الجاهلية، ويقول بالتوحيد
هو وأسعد بن زرارة.
يروى أنه توفي في خلافة عمر سنة إحدى عشر
من الهجرة، وقيل: أنه شهد صفين مع علي عليه السلام وقتل بها
سنة ٣٧ هـ، وكان شاعراً، له قصيدة في رثاء النبي صلى الله عليه وآله
يقول فيها: لقد جدعت آذاننا وأنوفنا* غداة فجعنا بالنبي محمد
هذا ملخص ما عثرنا عليه من المصادر الموثوقة
في ترجمة الصحابي الجليل ابن التيهان.
فسلام عليه يوم ولد، ويوم أسلم وجاهد، ويوم
مات، ويوم بيعت حيا.

المصادر

- ١ - معجم رجال الحديث ١٤ : ١٦١
- ٢ - الاستيعاب ٣ : ٣٦٨
- ٣ - أسد الغابة ٥ : ١٤ ، ت ٤٥٦٦
- ٤ - الأعلام ٥ : ٢٥٨
- ٥ - أعيان الشيعة ٢ : ٤٤٢
- ٦ - صفة الصفوة ١ : ١٨٣
- ٧ - الإصابة ٥ : ٧١٦ ، ت ٧٦٠٧
- ٨ - طبقات ابن سعد ٣ : ٤٤٧